


ربيع الأول ١٣٩٧ - فبراير/مارس ١٩٧٧



راجع مقال « رسائل من الماضي »        تصوير : روبرت آرندت

بسم الله الرحمن الرحيم


# قافلة الزيت

العدد الثالث - المجلد الخامس والعشرون

تصدر شهريا عن شركة ارامكو لموظفيها - ادارة العلاقات العامة
"توزع مجانا"
العنوان: صندوق البريد رقم ١٣٨٩ - الظهران. المملكة العربية السعودية


## محتويات العدد



## التعليق على صورة الغلاف

جلالة الملك خالد بن عبد العزيز يهنيء أحد الأطباء الخريجين السعوديين في الحفل الذي أقامته جامعة الرياض. وقد ظهر بينهما معالي الشيخ حسن عبد الله آل الشيخ، وزير التعليم العالي.


راجع مقال «كلية الطب»


تصوير : شركة التصوير الوطنية - الخبر


المدير العام: فيصل محمد البسام المدير المسؤول: عبدالله صالح جمعة

رئيس التحرير: عبدالله حسين الغامدي المحرر المساعد: عوني أبو كشك

# كلمة العدد

ان النهضة التعليمية التي تشهدها المملكة العربية السعودية هذه الأيام إنما هي مظهر من مظاهر نهضة اقتصادية واجتماعية وثقافية انتظمت كافة مرافق الحياة . . فقد أولت الدولة هذا القطاع الحيوي جل عنايتها وبالغ اهتمامها ، فأحرزت فيه تقدماً تجلت أبعاده في قيام العديد من المدارس ودور العلم ، وظهور الجامعات والمعاهد العلمية والدينية .

وقد تحقق ذلك كله بتضافر الجهود المخلصة النابعة من الايمان بالعلم بعد الايمان بالله . .

وفي السادس عشر من ذي القعدة المنصرم ، احتفلت جامعة الرياض ، بتخريج أول ثمرة من ثمار كلية الطب ، إذ تخرج عشرون طبيباً سعودياً سيكون لهم دورهم الفعال في المشاركة في معركة البناء والنماء .

المحـــرر

# الوقف

## أو الصدقة الجارية

بقلم : الدكتور محمود محمد بابللي

حرص الاسلام منذ بداية عهده على فتح أبواب الخير ، وحضّ على المسارعة فيها ، ورغّب في ذلك ، وضمن للفاعلين الأجر العظيم عند الله . . وأكد على أن الانسان لا يخلد منه إلا عمله لقوله صلى الله عليه وسلم : « يتبع الميت ثلاثة : فيرجع اثنان ويبقى واحد . . يتبعه أهله وماله وعمله ، فيرجع أهله وماله ويبقى عمله » . (١)

وان من عمله الذي لا ينقطع ثوابه : الصدقة الجارية . . مصداقاً لقول الرسول الكريم : « اذا مات الانسان انقطع عمله إلا من ثلاثة : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » . (٢)

وهذه الأمور الثلاثة تتناول حقائق اجتماعية لها تأثيرها المباشر على أفراد الأمة كما أن لها تأثيرها على مستقبلهم أيضاً . فالصدقة الجارية هي نوع من أنواع الانفاق الذي يدعو اليه الاسلام ويحض عليه ، غير انها تمتاز عن الانفاق الفوري ، بكونها مستمرة النفع ، باستمرار وجود عينها صالحة للاستثمار . والانفاق وهو طريق من طرق توزيع الثروة ، يعد من أبرز الأمور الاقتصادية . وان استمرار أجر الصدقة باستمرار جريانها في حياة الانسان وبعد وفاته ، يشجع الفرد على الاستكثار منه . . وهذا ما دفع بالسلف الصالح الى المسارعة في حبس كثير من أموالهم ووقفها في وجوه البر والاحسان . . وكان ذلك أصل فكرة الوقف ومنطلقها .

وان استمرار جريان الصدقة ، فيه تخليد لذكر صاحبها واحياء لاسمه . . وهذه ناحية نفسية ترتبط بحب الذات الغريزي . . ولا تتعارض مع الأصل الذي انبثقت عنه ، وهو التقرب الى الله ابتغاء مرضاته .

**وما الخيرُ في طولِ الحياة اذا امروٌ**
**مضى ثـم لـم تُذكر بخيرٍ عواقبهُ**

ويقول عليه الصلاة والسلام :

« من سنّ في الاسلام سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً . ومن سنّ في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيئاً » . (٣)

وثاني هذه الأعمال التي لا ينقطع نفعها ، وتعود على صاحبها بالأجـر المستمر هو : العلم الذي ينتفع به . وهذا أمر ملموس ومتحقق ، لأن العلم هو ثمرة الجهد الذي بذله العلماء في تقريبه الى الناس وهو التراث الخالد الذي ورثوهم إياه . . والعلماء ورثة الأنبياء . . والعلم لا يأتي إلا بالتعليم . . والتعلم لا بد له من معلم أو كتاب يرجع اليه ، وان التراث العلمي الذي بين أيدينا يشهد لعلمائنا بهذا الفضل الكبير الذي خلد ذكرهم ، وضمن لهم استمرار الأجر باستمرار الانتفاع من علمهم .

واننا نجد الترابط بين العلم والصدقة الجارية في كثرة ما هو موقوف من العقارات على طلاب

---

(١) رواه مسلم (٢) رواه مسلم (٣) رواه مسلم

العلم وعلى أغراضه . . حتى أن كثيراً من العلماء وقفوا كتبهم وتآليفهم على طلبة العلم ابتغاء الأجر الدائم . . وان كثيراً من الأغنياء اقتنوا الكتب ووقفوها ، ووقفوا عليها ما يضمن استمرار النفع بها .

وان التاريخ الاسلامي مليء بالشواهد التي تشير الى وقف مكتبات كاملة بموجوداتها جميعها ، مع تأمين السكن والغذاء لطلاب العلم ، طوال اقامتهم فيها ، للاغتراف من منابعها وكنوزها .

وأما الأمر الثالث ، وهو الولد الصالح الذي يدعو لوالديه ، فلا يقل أهمية عما سبقه ، لأن صلاح الفرد يؤدي الى صلاح المجتمع ، ومن صلاح الفرد مسارعته في الخيرات والمبرات . والدعاء بالخير للوالدين ، لا يقتصر على شخص الولد الصالح ، وانما يتعداه الى كل من لمس صلاح هذا الولد ، وترحم على والديه اللذين أحسنا تربيته . . فتضاعف أجر الوالدين تبعاً لتضاعف الأثر الذي يتركه هذا الولد الصالح في مجتمعه حياً أو ميتاً .

## أثر هذه الأمور الثلاثة في المجتمع

◦ **من الناحية الاقتصادية** : ان هذه الأمور الثلاثة متماسكة متلازمة ، لأن السخاء بالمال يطهر النفس ويزكيها ، ويشجع الآخرين على عمل الخير تأسياً بمن سبقهم في هذا الطريق . . ويُكثّر ( السيولة ) النقدية بين الأيدي فتنتعش الحركة الاقتصادية ويعم الرخاء الجميع . . وتزدهر البلاد وتقوى . وهذه أمور ملموسة . لأن قبض الأيدي عن الانفاق يساعد على وقف السيولة النقدية ، فتنشأ الأزمات الاقتصادية وتتأثر الأمة بمجموعها من ذلك .

ولهذا نجد الاسلام يكثّر من الحض على انفاق المال ، ويحذر من امساكه ، ويتوعد الكانزين بعذاب النار . . لما للانفاق من آثار حميدة على الأمة أفراداً وجماعات . . وان مال الانسان هو ما يقدمه بين يديه وان ما يبقيه بعد وفاته هو مال وارثه . . لقوله صلى الله عليه وسلم : « أيكم مال وارثه أحب اليه من ماله ؟ قالوا : يا رسول الله ، ما منا أحد إلا وماله أحب اليه من مال وارثه . قال : فان ماله ما قدّم ، ومال وارثه ما أخّر » .

◦ **من الناحية التعليمية** : والعلم الذي ينتفع به ، هو الذي دعا اليه الاسلام ورفع منزلة أربابه ، ولم يقصره على نوع محدد ، وانما عرّفه بالنفع فقال : أو علم ينتفع به . . وهذا الاطلاق لا حدود له . . ما دام يحقق نفعاً للأمة . وهذه من مزايا الاسلام التي سبق بها دعاة العلم في العصور المتأخرة . . فكانت النهضة العلمية التي ظهرت على أيدي العلماء المسلمين في القرون الأولى للهجرة ، نهضة انسانية تقوم على النفع الذي هو هدف العلم وثمرته ، ولا تفرق بين شعب وآخر باعتبار أن الناس عيال الله وأحبهم اليه أنفعهم لعياله .

كما كانت هذه النهضة مفتاح النهضات العلمية المتعاقبة ، اعترف بها منصفوهم ، وبقيت معالمها خالدة في الكنوز العلمية الموزعة في مكتبات العالم وفي الآثار العمرانية التي تشهد على ما توصلت اليه هذه الحضارة الاسلامية الانسانية . . فان قصر الخلف في استمرار حمل هذه الرسالة ، والنهوض بها الى المستوى المنشود ، فان هذا التقصير لا يمس تعاليم الاسلام بشيء ، لأنها تعاليم خالدة تكفل لمن يأخذ بها الارتفاع الى أعلى مستوى يمكن أن تصل اليه جهود العلماء .

وقد كان العلم مقروناً بالبذل ، من العلماء أنفسهم ، ومن أولياء أمور الأمة وأثريائها . . وكانت المؤسسات العلمية تمول من عائدات الخيرات الموقوفة عليها ، ومن التبرعات الفردية . . أو من المخصصات الدائمة التي ترصدها الدولة لضمان حسن أداء رسالتها واستمرارها . .

وان أثر العلم في المجتمع لا مجال لنكرانه . . ولهذا كانت الدعوة الى التزود منه موجهة من الله سبحانه وتعالى الى رسوله بقوله : « **وقل رب زدني علماً** » . وهذه دعوة عامة وليست خاصة به ، صلى الله عليه وسلم .

وان انتشار العلم النافع بين أفراد الأمة ، والتزود منه ، يرتفعان بمستوها الى المنزلة التي انطلقت منها بشهادة الله سبحانه في قوله الكريم : « **كنتم خير أمة أخرجت للناس** » .

◦ **صلاح الفرد والمجتمع** : أما الولد الصالح ، فهو الفرد المسلم الذي تحرص الأمة على تنشئته ليكون اللبنة المثلى في الهيكل العام ، وهو أمل كل والد في أن يكون ابنه كذلك ، وهو دعوة مستمرة ، ونداء لا يتوقف ، لكل مواطن يرغب في صلاح أمته ، بأن يبدأ بصلاح نفسه ثم بمن يعول ، لأن فاقد الشيء لا يعطيه . . والولد الصالح هو استمرار وامتداد لأبويه . . فينتفعان بصلاحه ، لأنه من آثارهما . . وان صلاح الولد ، هو صلاح للمجتمع . لأن الصالح لا يرضى بالفساد ولا يسكت عنه . . واذا ما تعدد الصالحون وكثروا في الأمة . . ضمنت لنفسها استمرار الرفعة والازدهار .

ومفهوم الصلاح في الاسلام ، هو أن يكون الفرد نافعاً لأمته في الشيء الذي تخصص فيه . . وانصرف اليه . وبذلك تكسب الأمة عضواً نافعاً يدعو الى الخير ويحققه بنفسه ، ويتجنب الشر ولا يرضى به ويعمل على ازالته . . وقد جعل الله وراثة الأرض قصراً على عباده الصالحين فقال سبحانه :

« **ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون** » .

## بداية الوقف وانتشاره

◦ ورد في كتب السيرة أن « مخيريق » كان يهودياً ، قاتل مع المسلمين في غزوة أحد ، وفاء للعهد الذي أخذه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، على اليهود . وقد قال لهم « مخيريق » : يا معشر يهود ، لقد علمتم أن نصر محمد عليكم حق ، فقالوا : ان اليوم يوم سبت . فقال : لا سبت وأخذ سيفه وعدته وقال :

ان قُتلتُ فمالي لمحمد يصنع به ما يشاء . ثم غدا فقاتل حتى قتل .

فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : مخيريق خير يهود . ثم جعل أمواله أوقافاً . وكانت سبع حوائط . فعم نفعها ، بعد أن كان قاصراً على مالكها . وبذلك وضع الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، أول لبنة في هيكل هذه المؤسسة الخيرية الاقتصادية العامة ، التي أطلق عليها فيما بعد اسم الوقف .

• وعن أنس بن مالك رضي الله عنه يقول : كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل ، وكان أحب أمواله اليه « بيرحاء » وكانت مستقبلة المسجد . وكان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب .

قال أنس : فلما أنزلت هذه الآية : **« لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون »** قام أبو طلحة الى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله . ان الله تبارك وتعالى يقول : لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ، وان أحب أموالي إلي بيرحاء . وانها صدقة لله أرجو بها برّها وذخرها عند الله . فضعها يارسول الله حيث أراك الله . قال : فقال النبي ، صلى الله عليه وسلم ، بخ ، ذاك مال رابح ، ذاك مال رابح ، وقد سمعت ما قلت ، واني أرى أن تجعلها في الأقربين . فقال أبو طلحة : افعل يا رسول الله . فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه ( أخرجه البخاري ) . وكان هذا أول وقف أهلي ، نتج عن دعوة الله عباده المؤمنين الى المسارعة الى الانفاق من أطايب أموالهم ، أي مما يحبون .

• وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : أصاب عمر أرضاً بخيبر فأتى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، يستأمره فيها فقال : يا رسول الله اني أصبت أرضاً بخيبر لم أصب مالاً قط هو أنفس عندي منه فما تأمرني به ؟

قال : ان شئت حبست أصلها وتصدقت بها . قال : فتصدق بها عمر : انه لا يباع أصلها ولا يبتاع ولا يورث ولا يوهب . قال : فتصدق بها عمر في الفقراء وفي القربى وفي الرقاب وفي سبيل الله وابن السبيل ، والضيف ، ولا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف أو يطعم صديقاً غير متمول فيه . (١)

قال الترمذي : العمل على هذا الحديث عند أهل العلم من أصحاب النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وغيرهم ، لا نعلم بين أحد من المتقدمين منهم في ذلك اختلافاً .

• ووقف عثمان بن عفان بئر رومة في المدينة ، وكان لا يشرب منها أحد إلا بثمن ، فابتاعها وجعلها للغني والفقير وابن السبيل . وهي كائنة شمال مسجد القبلتين بوادي العقيق ، وماؤها عذب لطيف في غاية العذوبة واللطافة . تسميها الآن العامة بئر الجنة ، لترتب دخول الجنة لعثمان على شرائها ، قاله صاحب اللمعات . وقال الكرماني : « كان بئر رومة ركية ليهودي يبيع المسلمين ماءها ، فاشتراها منه عثمان بعشرين ألف درهم » آنئذ . (٢)

وفي حديث آخر : أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة ، فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : من يشتري بئر رومة فيجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة . فاشتراها عثمان وجعلها للمسلمين .

وقد استدل من هذا الحديث على جواز وقف السقايات وخروج الموقوف عن ملك الواقف حيث جعل ملكه فيها مع غيره سواء .

• ثم توالت أوقاف الصحابة والتابعين ، وتابعيهم باحسان الى يومنا هذا . وينقل مؤلف كتاب « عبقرية الاسلام في أصول الحكم » (٣) ، عن ابن بطوطة في معرض كلامه على أوقاف دمشق ، انها أوقاف لا تحصى كثرة ومنها :

- **أوقاف على العاجزين عن الحج ، ويعطى لمن يحج عن الرجل منهم كفايته .**
- **أوقاف على تجهيز البنات الى أزواجهن وهن اللواتي لا قدرة لأهلهن على تجهيزهن .**
- **أوقاف لفكاك الأسارى .**
- **أوقاف لأبناء السبيل المنقطعين يعطون منها ما يأكلون ويلبسون ويتزودون لبلادهم .**

## شمول الوقف لمختلف وجوه البر

قلنا ان الصدقة الجارية تمتاز عن الانفاق الفوري ، بأنها مستمرة النفع ، باستمرار وجود عينها صالحة للاستثمار . . وانها ذات أثر اقتصادي لاستمرار نفعها المادي مما هو محبوس لمصلحتها .

ولهذا تسابق الخيّرون الى عمران المساجد ومدها بما يصلح لها من فرش ، ومياه وسكن للقائمين عليها . . ووقف دور ومحلات وأراض زراعية خاصة بها ليعود ريعها على استمرار صلاح عينها للانتفاع ، ولتغطية نفقات المتفرغين لها ، وما هي بحاجه اليه من إنارة وفرش ونظافة وغير ذلك . .

وان معظم المساجد في العالم الاسلامي هي وقف ، أو موقوف عليها ، وأكثرها أوقافاً هي المساجد الثلاثة التي لا تشدّ الرحال الا اليها : المسجد الحرام . والمسجد النبوي ، والمسجد الأقصى .

وان من أكبر الأوقاف في العالم الاسلامي أوقاف الحرمين الشريفين . كما غطت الأوقاف كثيراً من دور العلم ومكتباتها ، والعاملين فيها ، كذلك شملت الناحية الصحية ، فأشادوا المستشفيات ، التي كانت تعرف باسم « البيمارستانات » ودور العجزة ، والمنقطعين وأبناء السبيل ●

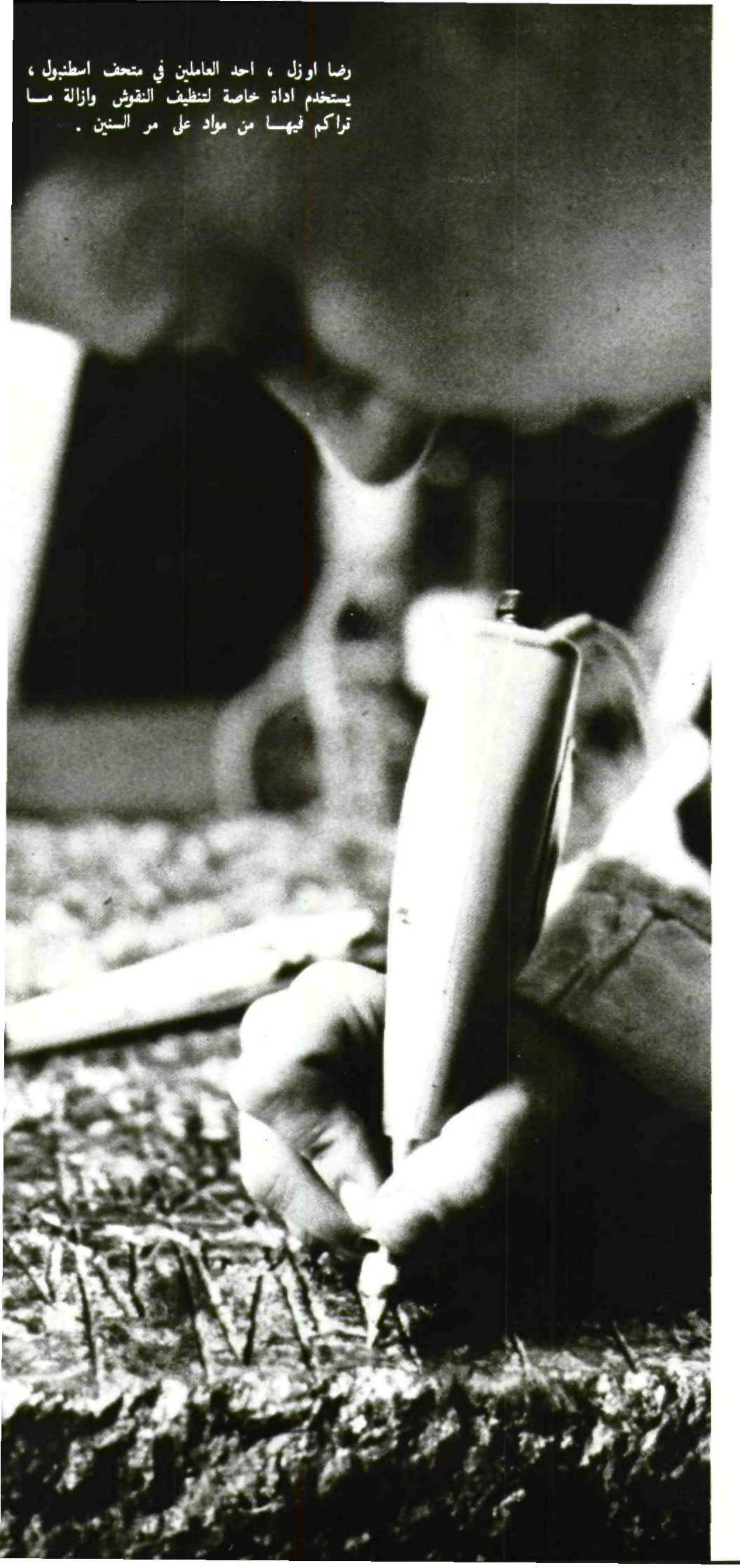
**د. محمود بابللي – الرياض**

(١) رواه الشيخان . (٢) تحفة الأجودي /ج – ١٠ /ص – ١٩٠ (٣) الدكتور منير العجلاني /ص – ٣٥٤ .

# رسائل .. من الماضي



لوح فيه نقوش يعود تاريخه الى القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد ، أيام حكم احـد ملوك لاقاش ، وفيه تفصيل لبعض اعماله الاجتماعية والسياسية .



رضا اوزل ، احد العاملين في متحف اسطنبول ، يستخدم اداة خاصة لتنظيف النقوش وازالة ما تراكم فيها من مواد على مر السنين .

لعل أكثر ما يستهوي الباحثين عن التاريخ القديم زيارة المتاحف والأماكن الأثرية ومواقع التنقيب عن آثار الحضارات والمدنيات الغابرة . ولعل أكثر ما يمتع زوار تلك المواقع من السياح لقاء أحد الدارسين أو الباحثين فيحدثهم عما يشاهدون ويجلو لهم ما يُبهم عليهم ، ويشرح ما يستعصي عليهم فهمه . وقد ينقلهم الباحث الذكي ، بحديثه الشيق اليهم ، الى تلك العصور الموغلة في القدم فتسرح أخيلتهم مع حديثه الى ذلك الماضي ويربطون به ما يشاهدون من آثار ماثلة أمام أعينهم في المتحف أو الموقع الأثري .

وقد نستدل ، في غير ما مشقة في بعض الحالات ، على ما كانت عليه تلك الأقوام من تقدم في البناء والعمران او الصناعة عندما نشاهد آثار مبانيها الضخمة من قلاع وحصون وأعمدة رخامية عالية ومدرجات تشرف على ميادين فسيحة منسقة . أو من أواني الفخار والخزف والزجاج والمنسوجات ، أو من قطع المعادن والمسكوكات من ذهب وفضة ونحاس ورصاص . لكن النقوش والرسوم والكتابات المحفورة على الصخور او قطع الطين اليابس يصعب ان يفهمها أو يحل رموزها غير خبير باحث عالم بالاثار ، ملم بالكتابات القديمة واشكالها ورسومها . ولعل متحف اسطنبول بتركيا هو أحد أكبر المتاحف المشهورة في العالم ، التي تحتوي على الكثير من المخطوطات الأثرية وخاصة فيما يتعلق بتاريخ وحضارة بلاد ما بين النهرين دجلة والفرات .

تعرضت بلاد ما بين النهرين لبضع غزوات قبل ان تستقر الحال بها ، ويندمج اهلها بالغزاة ويشكلوا معهم مدنية ،وحدة عرفت فيما بعد بالمدنية السومرية . وفي الواقع لم يكن السومريون اول من تجمعوا في قرى صغيرة او مدن . فمنذ نحو ٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد كانت هناك قرى مبنية حول ما يمكن ان يسمى اماكن عبادة ، اذ يقول المؤرخون ان السومريين كانوا قوماً متدينين ، كما كان بينهم الصناع والبناؤون المهرة . وقد طور السومريون المدن ونظموها ، واقاموا الأقواس والقناطر – التي كانت تزين مداخل بيوتهم – والقباب والأقبية ، وابتكروا العجلات واستخدموها في النقل والمواصلات ، واستعملوا المعادن كالحديد وطرقوه وصنعوا منه بعض ادواتهم ، واشتغلوا بالفلك والنجوم والموسيقى وعلم الحساب . ولكن أهم اختراعاتهم

كانت في الحقيقة ابتكار الكتابة التي يقال انهم بدأوا بنقش رموزها حوالي عام ٣٥٠٠ ق . م وبها استطاعوا ان يسجلوا القوانين والمعاملات التجارية وعقود الزواج وغير ذلك من الوثائق على اسطوانات من الطين المقسى أو الأوتاد ، ويحفظوها في أماكن خاصة للاطلاع عليها وقت الحاجة .

وحوالي عام ٣٠٠٠ ق . م . اخذت اسماء الملوك والحكام تظهر في النقوش والسجلات التي أصبحت فيما بعد وثائق تاريخية لحضارة اولئك الأقوام البائدة قبل آلاف السنين . ولقد اتى من بعدهم اقوام خلفوهم في ارضهم واستخدموا كتاباتهم وطوروهـا كالبابليين والأشوريين ومن عاصرهم او خلفهم فيما يسمى حالياً بالشرق الأوسط . وفي الجناح الخاص بالآثار الشرقية في متحف اسطنبول ، وكذلك في عدد من متاحف العالم ، يشاهد الزائر آلافاً من تلك القطع الاثرية التي تروي أخبار السومريين ومن أتى بعدهم حتى ميلاد السيد المسيح . ومن هذه القطع الحجرية او الخزفية ما هو على هيئة اوتاد او مسامير كبيرة ومنها ما هو على هيئة اسطوانات او ألواح تحتوي على رسائل حقيقية عادية من الماضي البعيد ، بعضها شخصي او اجتماعي او انساني ، وبعضها يتحدث عن مشكلات او خصومات عائلية او زيجات ، او حول الاطفال والمدارس وغير ذلك من الأمور المتصلة بواقع الحياة .

وقد استطاع الخبراء ، بالصبر والاناة ، حل رموز تلك الرسائل وتدوين محتوياتها ليطلع عليها الباحثون عن آثار المدنيات البائدة قبل مئات بل آلا ف السنين .

ومن بين تلك الرسائل التي حل الخبراء رموزها ، رسالة من تلميذ يعاتب فيها امه على قلة اهتمامها به وطريقة معاملتها له ، ويقول في رسالته : « . . . ان هندام الفتيان هنا يزداد حسناً وجمالاً بينما انت تتركين ثيابي تزداد سوءاً وقصراً كل سنة . وبينما الصوف متوفر في بيتنا كالخبز ، أراك تصنعين لي ثياباً رديئة . ان منزلة « أداد — ايدنام » دون منزلة والدي ، ومع ذلك يحصل ولده على لباسين جديدين كل عام ، في حين تتضايقين من عمل لباس واحد لي . »

انها رسالة عائلية عادية تعبر بصراحة عما كان يشعر به الطفل تجاه امه واسرته . وقد يتحدث أبناؤنا الينا حالياً بالطريقة نفسها وحول



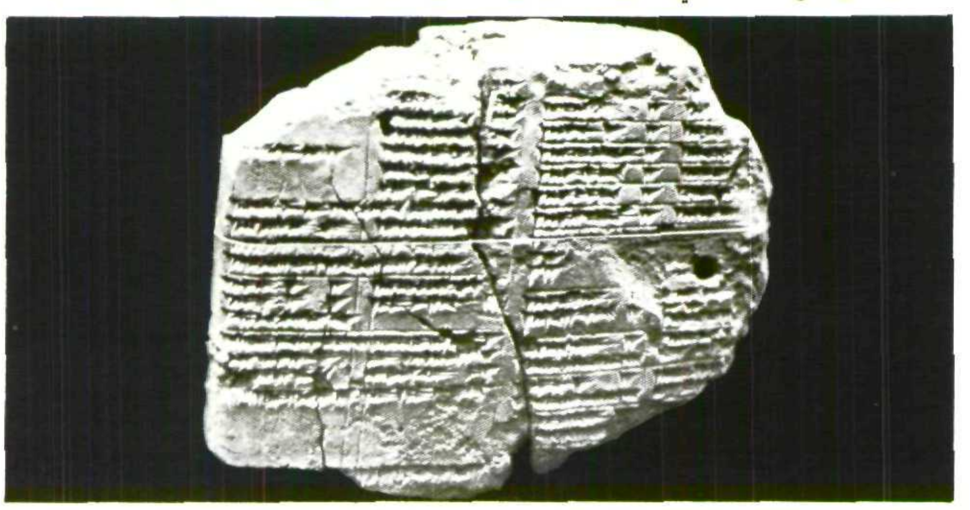
مسمار من الطين الصلب تدل النقوش على انه اقدم هدية لمعبد مدينة لاقاش ، الذي وجد فيه .



هذا الحجر الأثري تنص النقوش فيه على الحدود . ويرجع تاريخه الى أيام البابليين ، وهو يوجد في متحف اسطنبول .

شعورهم بالغيرة من اقرانهم . ولكن يبدو ان الصراحة والصدق كانا من ميزات اهل ذلك العصر ، الكبار منهم والصغار ، وانهم كانوا يعفّون عن المواربة او الخداع ، ولنقرأ ما جاء في رسالة من أحد التجار الى زميل له لم يف بما وعده ، يقول فيها : « . . . عندما حضرت الي قلت انك سوف تعطي « جميل — سن » قوالب جيدة من النحاس ، ولكنك بعد ما غادرتني لم تعمل بما وعدت . لقد وضعت قوالب من نوع رديء اما رسولي فقلت له : هذا ما عندي . . خذه او اتركه . لقد ارسلت اليك — من قبل — رجالاً محترمين مثلنا ليأتوني بالنقود التي اودعتها ، ولكنك خذلتني ولم تعطهم شيئاً وارجعتهم عبر منطقة يقطنها الأعداء . فعلام تعاملني بهده المعاملة السيئة التي ما عاملني احد بها من قبل ! ؟ ألأني مدين لك برطل من الفضة أقابل بهذا الازدراء ؟ ! وماذا عنك انت ؟ تذكر انني دفعت للقصر نيابة عنك ١٠٨٠ رطلاً من النحاس وكذلك فعل « سومي — ابوم » . لقد جاء دورك الآ ن لتعيد الي نقودي كاملة ، واندرك بأني من الآن فصاعداً لن أقبل منك نحاساً الا من النوع الجيد ، وسأختار القوالب واحداً واحداً ، وسوف أمارس حقي في ارجاع غير الصالح منها ، وذلك جزاء معاملتك الفظة لي ولرجالي . »

بمثل هذا الحديث الصريح ، كان يتعامل السومريون ، وعليه كانوا يدربون ابناءهم في المدارس حيث كانوا يقضون بضع سنين يتعلمون خلالها اللغة وآدابها والحساب وربما بعض المواضيع التخصصية في أسلوب التعامل مع الناس والأصدقاء . وكان التلميذ لا يتخرج من المدرسة حتى يغدو ماهراً في الكتابة . وكان



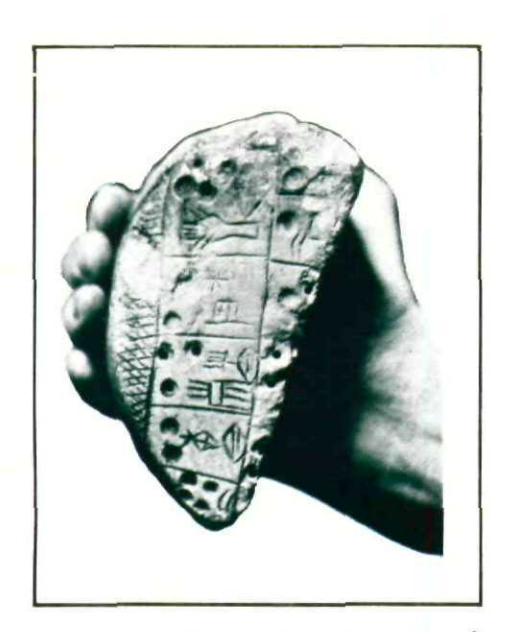
تحتوي هذه القطعة الأثرية على قوائم باسماء الملوك البابليين والأشوريين الأوائل ، وقد نقشت في اواسط ايام الأشوريين بين القرنين السابع عشر والثامن قبل الميلاد .

غالباً ما يحصل بعد تخرجه ، على مسكن جيد ومركز مرموق في المجتمع ، فيعين في وظيفة رسمية تعنى بشؤون الادارة او المعابد او القصر ، أو يعين مراقباً على بعض الممتلكات او المقاطعات. ويبدو ان الالتحاق بتلك المدارس لم يكن بالأمر السهل ، وان الأغنياء وحدهم هم الذين كانوا يستطيعون الحاق ابنائهم بها . كما ان اسلوب الدراسة ونظامها الصارم لم يكن سهلاً ولا يسيراً .

جاء في احد الألواح على لسان رجل يتذكر ايام دراسته فيقول :

« . . . استيقظت في الصباح مبكراً وقلت لأمي : أعطني غدائي فإنني اريد الذهاب الى المدرسة . فناولتني قرصين فأخذتهما وسرت في طريقي . ولما بلغت المدرسة رآني المراقب وسألني غاضباً : لماذا انت متأخر اليوم ؟ فخفق قلبي خوفاً وخفضت رأسي واتجهت الى مدرسي فحييته التحية الطيبة المعتادة ، ثم ذهبت الى المدير ليقرأ الواجب المدرسي وما نقشت في لوحي من الخطوط . فقرأ قليلاً ثم رفع رأسه وصاح بي : يوجد هنا خطأ في كتابتك . وضربني . فخرجت من عنده حزيناً ، ولكن سرعان ما رآني المسؤول عن النظافة والترتيب في المدرسة ، فنهرني قائلاً : عقد رميت بعض القاذورات في الشارع ، وملابسك أيضاً غير مرتبة ، وضربني هو الآخر . بعد ذلك بقليل شاهدني المسؤول عن النظام والهدوء فوبخني على كلامي بغير اذن وضربني. »

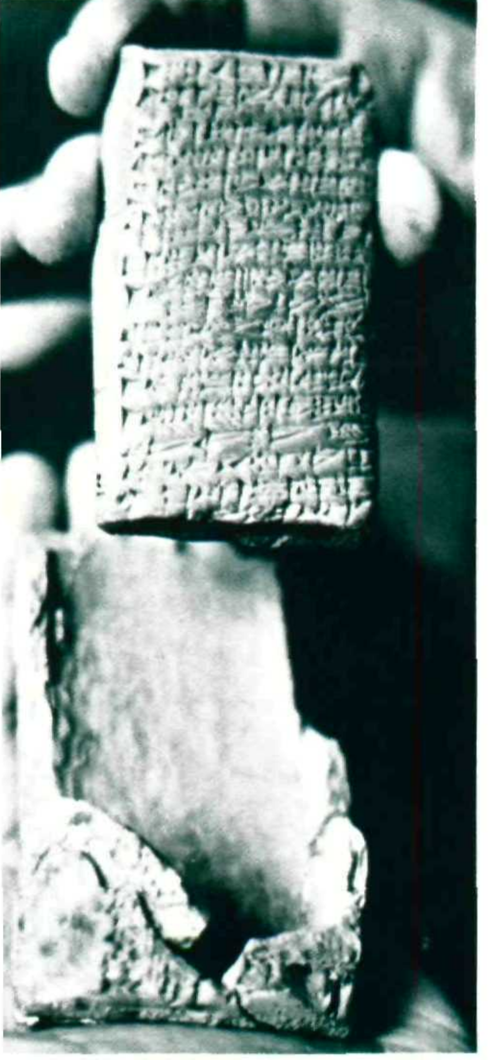
واستمر الحال بالفتى ، كما قال في مذكراته ، حتى آخر النهار وهو ينتقل من عقاب الى آخر حتى



أقدم قطعة من آثار السومريين في متحف اسطنبول ويرجع تاريخها الى حوالي عام ٢٧٠٠ ق.م .



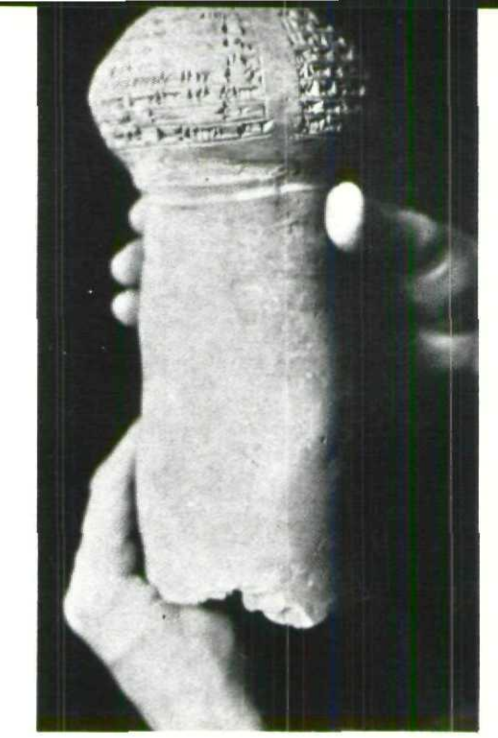
اسطوانة من الطين الصلب نقش عليها بالتفصيل الانشاءات التي اجريت في المعبد أيام الملك نبوخذ نصر الثاني الذي حكم بابل بين عامي ٦٠٤ – ٥٦٢ ق.م .



وثيقة تتعلق ببيع قطعة من الأرض ، تحمل اسم القطعة وحدودها واسم المشتري والشهود عليها .



حجر على هيئة اوزة نائمة ويزن حوالي ٦٦ رطلا ، بالوزن الحالي ، ويبدو انه كان يستعمل لضبط الأوزان الأخرى عليه .



قطعة اثرية اسطوانية عليها نقوش تروي ما قام به الملك الآشوري توكلتي – نينورتا من اصلاحات للمعبد ولجدران المدينة وبوابات القصور .

بلغ عدد المرات التي ضُرب بها ، نتيجة لمخالفات متنوعة ، تسعاً . ثم ختم ذلك اللوح ، او الصفحة ، من مذكراته بقوله : ومن يومها صرت أكره الكتابة وأهملها . »

**ويبدو** مما تقدم ان الوضع شبيه ببعض الحالات في أيامنا هذه ، ففي لوح آخر من المذكرات ، او في صفحة اخرى بلغة اليوم ، يتابع الرجل حديثه عن أيام دراسته : . . . وذات يوم اقترحت على والدي قائلاً : اعط المدرس زيادة في اجره لعله يحسن معاملتي فوافق ابي ودعا المدرّس الى البيت ، وقرأت أمامهما ( والدي والمدرّس ) بعضاً مما احفظ عن ظهر قلب ، وامتدح ابي المدرّس على نجاحه في تعليمي وأمر الخدم ان يحضروا للمدرّس زيتاً ويدهنوا به صدره وظهره ، ثم أعطاه والدي لباساً جديداً وألبسه خاتماً وزاد اجره . فدعا المدرّس لي بالنجاح وقال : تمرن على كتابة الدروس جميعها لتتقنها وتصبح الأول في فصلك ، ومتفوقاً على زملائك ، ورئيساً لأصدقائك ، ولتحصل على الدرجة العليا بين الطلاب لقيامك بواجبات المدرسة خير قيام . »

ان تمنيات المدرّس للطالب بالتقدم والنجاح تعكس ما كان يتميز به السومريون من طموح . فحصول الفرد على المركز الأول في مجموعته أو بين زملائه وتكريمه في مدينته اخبار تروى كثيراً في الألواح السومرية المنقوشة التي تمت ترجمتها .

وقد ظهر من المخطوطات المدرسية أيضاً ان كثيراً من التدريبات كانت على شكل حوار او مناظرة يجريها التلاميذ بين نقيضين كالذهب والنحاس ، والصيف والشتاء ، والليل والنهار . وكثيراً ما كان يشتط المناظر فينتقص من صفات نظيره بغية التفوق عليه ، علماً بأن الحكم في هذه المناظرات كان للمدرس الذي يأخذ بجميع الاعتبارات .

ومن بين تلك المناظرات التي تحولت الى مهاترات قول احد المتناظرين لآخر : « ايها الأبله الجاهل يا ذا اليد العاجزة عن امساك القلم والكتابة ، كيف تسمح لنفسك بالزعم بأنك مثلي في النسخ وانت لا تستطيع كتابة رسالة تُملى عليك . »

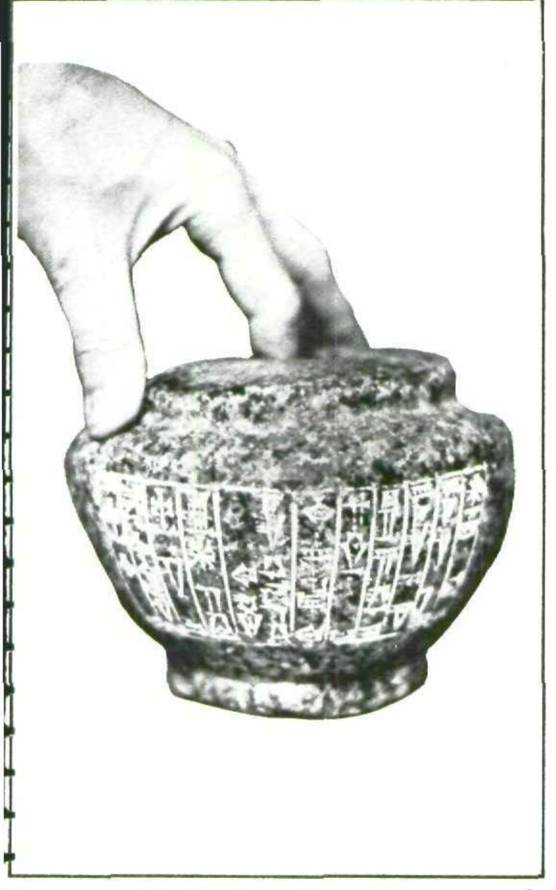
ويرد الثاني مدافعاً عن نفسه ومتهكماً على نظيره بقوله : « ماذا تعني بأنني لا استطيع مجاراتك في النسخ ، انت الذي لا تحمل كتاباته أي معنى ، ويتخبط فيها كالمعتوه ! ؟ دخلت حقل المساحة فلم تستطع مد حبل قياس او دق وتد ! ان حكمت في خصام او مشكلة زدتها تعقيداً يا أجهل من تعلم الكتابة ! هل يستطيع احد القول بأنك تصلح لعمل ما ! ؟

ويرد الأول مرة اخرى : « اتخاطبني بهذا وانا الكفء في كل الأمور يا أكسل الكتاب وأجهل الرجال ! ؟ يا من لا يستطيع الجمع ولا الطرح ، يا من يخلط بين المثلثات والمربعات والدوائر ! ! يا سخرية الناس ، يا ثرثار يا جبان ، يا . . . . »

ترى . . هل كانت حياتهم هكذا ، ذات شقاق وعراك كما تدل عليه لوحاتهم ! ؟ انها لو كانت فعلا كذلك لكانت بلا شك صعبة وشاقة !

**وهناك** كثير من اللوحات المحفوظة في جناح الآثار الشرقية في متحف اسطنبول ، تستدل على أن من أهم ما كان يسجل ويحفظ للرجوع اليه عند الحاجة ، الاتفاقيات التجارية وعقود الزواج . وكانت الأخيرة تنص على حقوق كل من الزوجين وواجباته وكذلك حقوق أهل الطرفين . ومن ذلك عقد يشترط على الزوجة ، اذا لم تنجب لزوجها ولداً خلال سنتين من زواجهما ، أن تتحمل نفقات تزويجه من أخرى تقيم معها ، فان أنجبت الثانية ولداً احتفظت الأولى به وسرح الزوج الثانية .

وكانت الاتفاقيات والعقود المهمة تحفظ أو تغلف بطريقة خاصة حرصاً عليها من



رأس لعصا صولجان من الجرانيت المصقول فيها ١٢ سطراً نقشت في أيام « جوديه » حاكم مدينة لاقاش .

التحريف . ولما كان الطين المستعمل للكتابة لا يتم النقش عليه ألا وهو لين ويبقى بضعة أسابيع حتى يجف وييبس لذا كان يخشى أن يقوم أحد المتعاقدين بتحريف النص أو تغييره . فكانوا يعمدون الى تغليف النص بطين آخر يمكن ازالته دون اتلاف النص الأصلي ، ثم يعيدون كتابة النص على الغلاف ويوقعونه ويختمونه . فاذا حصل خلاف عادوا اليه ، وان شك أحد الفريقين بوجود تحريف أو تغيير فيه ، طلب الى الحاكم ليفض الغلاف ويطلع على النص الأصلي فان وجد خلاف بين النصين ، الخارجي والداخلي حقق فيه وعوقب فاعله .

ومع مضي الوقت تجمعت عدة نصوص تحولت فيما بعد الى ما يشبه القوانين المكتوبة ، وكان ذلك في عهد ملك « أور » السومري حوالي سنة ٢١٠٠ قبل الميلاد ، وقبل ظهور حمورابي المشهورة بـ ٣٥٠ سنة . ويوجد حالياً جزء من نسخة قوانين الملك « أور » وتدعى « اورنامو » محفوظة في متحف اسطنبول وتعتبر من أهم الآثار فيه . ويقول الخبير المشرف على ذلك الجناح ، بأنها ، أي القوانين ، تصف الغرامات وتحددها ، بأوزان معينة من الفضة ،

جزاء لكل أذى جسماني يرتكبه الفرد ضد غيره ، كما تذكر بأن عقاب جريمة القتل كان يترك ، حسب التقاليد ، لعائلة القتيل .

وفي ذلك الجزء من قوانين « أور » ما ينص على تحديد الموازين والمقاييس . وفي المتحف حجارة جميلة منحوتة على شكل أوزة نائمة كانت تستعمل كأوزان معترف بها في ذلك العهد البعيد . ومنها حجر ، يزن ٦٦ رطلاً انجليزياً ، بالوزن الحالي ، كانوا يحتفظون به في المعبد ، ويبدو أنهم كانوا يتخذونه كنموذج لتضبط الأوزان الأخرى عليه . وتعتبر هذه القطعة وغيرها من قطع الأسلحة والأقراص المعدنية الزرقاء اللون من محتويات المعرض القيمة ، ويبدو أنها كانت تقدم كهدايا أو قرابين توضع في المعابد ويكتب عليها اسم مقدمها . ومن هذه الهدايا قضيب من الجرانيت عرف من الكتابة المنقوشة عليه ان « جوديه » حاكم مدينة لاقاش حوالي عام ٢٢٠٠ ق.م قدمه لمذبح المعبد . وجاء في النقش : « أن جوديه حاكم مدينتي لاقاش وأور قد بنى معبد نانار وقدم هذه الهدية لروح ملكه نينكوا » .

وتدل النقوش على أن حياة السومريين كانت تنعكس في أمثالهم الشائعة التي يبدو أن الطلاب كانوا ينسخونها للتدرب على الكتابة . كما كانت لهم مكتبات تجمع فيها هذه الأمثال حسب أسلوب منظم . وقد استطاع المعنيون بالآثار السومرية ترجمة حوالي عشرين مجموعة من الأمثال بعضها يتحدث عن الثروة والزواج أو الصداقة أو العلم .

**فقالوا عن الثروة :**

- قد يكون صاحب الفضة سعيداً ، وصاحب الغلة مسروراً ، لكن الفقير ينام قريراً .
- الاحتفاظ بالثروة مشقة لكن الفقر حليف مقيم .
- اذا نام الفقير فلا توقظه .

**وقالوا عن الزواج :**

- الزواج متعة العيش والتفكير في أسبابه تعكير له .
- لم يحمل عبئاً من لم يتزوج أو ينجب .
- تُختار الزوجة للنفس أما الأطفال فللقلب .

**وقالوا في الصداقة :**

- ليس القلب هو الذي يقود الى العداوة وانما هو اللسان .



نقش في الحجر يحتوي على سبعة أعمدة ويعتبر من أقدم القواميس في العالم ، وهو يحتوي على نقوش واشكال يرجع تاريخها الى عام ٢٠٠٠ ق.م. يقابلها في الجانب الأيسر من كل عمود ترجمة لها بنقوش واشكال كانت تستعمل حوالي عام ٧٠٠ ق.م.

يستخدم هذان الباحثان ادوات كهربائية دقيقة وسكيناً مدببة الرأس وفرشاة صلبة لتنظيف هذه النقوش القيمة الدالة على آثار الأمم الشرقية الغابرة .

• دع مالك للآخرين ، ولا تأخذ من مالهم ، تصبح محبوباً لديهم .

• الصداقة يومية والقرابة أبدية .

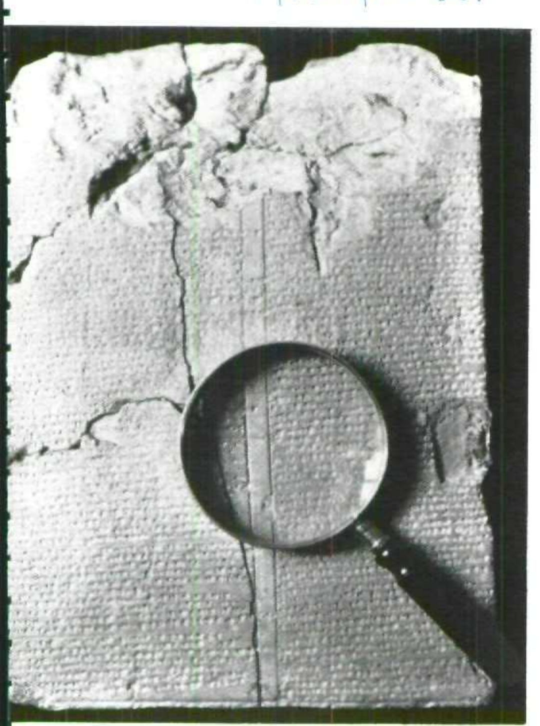
**وقالوا في العلم :**

• لماذا يخفي الذين يعرفون معرفتهم !؟

ومن الأمثال الآنفة نستطيع أن نلم ببعض جوانب الحياة الاجتماعية التي كان أهل ذلك الزمن يعيشونها قبل آلاف السنين .

ويبدو من الرسائل المترجمة أن المؤرخين السومريين كانوا يؤرخون لكتاباتهم بالحوادث المهمة والبارزة . كالعام الذي تم فيه تجنيد أهالي أور ، والعام الذي بنى فيه الملك شوسن — ملك اور — الجدار الغربي للمعبد . ومع أن هذه التواريخ تمثل نقطة مهمة للباحثين عن آثار الأقدمين إلا أن الأهمية الكبرى تكمن في الرسائل ، وخاصة الرسائل الملكية التي كانت ترسل من ملك الى آخر ، أو من الملك الى الحكام والرسميين ، والتي كانت تتميز بالصدق والصراحة وبخلوها من الحرص أو المجاملة الدبلوماسية ، إذ تبدو وكأنها مراسلات عادية بين أصدقاء مقربين . ومن بين هذه الرسائل المهمة ، واحدة من ملك بابل الى ملك مصر يقول فيها : « منذ أن نظم آبائي وآباؤك علاقات الصداقة بينهم وهم يتبادلون الهدايا القيمة ويلبون طلبات بعضهم البعض . ولكنك بالأمس يا أخي ، أرسلت رطلين فقط من الذهب هدية لي ، فأرجو إذا كان لديك كثير منه أن ترسل كما كان يفعل آباؤك مع آبائي ، أما اذا كان لديك القليل منه فارسل نصف ما كانوا يرسلون . ما الداعي الذي حملك على ارسال رطلين فقط ، علماً بأن لدي عملا كبيراً في المعبد ويجب أن أكمله ! ؟ ارسل كمية أخرى واكتب الي عما تريد من عندي وسأرسله اليك مع المبعوثين . »

لوح من الطين الصلب يعود تاريخه الى ايام الحثيين ، وقد وجد في الحفريات التي جرت في بوكازكوى ، بتركيا ، عام ١٩٠٦م .





فيصل دنباز ، خبير الآثار في متحف اسطنبول ، يقرأ أحد النقوش المهمة .



تشرح النقوش الموجودة هنا بعض الكلمات المسجلة في القطعة ذات الأعمدة السبعة .

وفي رسالة أخرى يقول ملك بابل لملك مصر : « لقد قيل لي أن كل شيء متوفر في بلد أخي ملك مصر ، وانه ليس في حاجة لشيء آخر . ونحن هنا في بلادنا لدينا كل ما نحتاج اليه وها نحن نتبادل رسائل الود والصداقة التي وطدها الملوك السابقون . فأرجو أن يستمر هذا التعاون بيننا . »

وبمثل هذه الصراحة بل وبأكثر منها تكتب « انحس نامون » ملكة مصر «وأرملة توت عنخ آمون » ، المتوفى في ذلك الوقت عن ١٨ سنة من العمر ، الى ملك الحثيين سوبليوليوماس ، عام ١٣٥٤ق.م ، وكان يحاصر مدينة كاركميش السورية ، فتعرب له فيها عن حزنها العميق وخوفها من أن يتزوجها أحد رجال حاشيتها فيستولي على عرش مصر . وتقول في الرسالة : « لقد مات زوجي قبل أن أنجب ولداً ، ويقال بأن لديك عدداً من الأبناء فحبذا لو ترسل الي بأحدهم ليصبح زوجاً لي . ومهما يكن الأمر فلن أتزوج أحداً من رجال حاشيتي ، انني خائفة جداً . »

لقد أثارت هذه الرسالة رغبة سوبليوليوماس وشكوكه أيضاً فأرسل مبعوثاً خاصاً لمصر ليستطلع الأمر فعاد المبعوث برسالة ثانية من الملكة الأرملة تقول فيها : « لماذا تظن بأننا ربما نخدعك !؟ لو كان لي ولد لما أرسلت الى أجنبي أعلمه بمأساتي ومأساة بلادي ! انك تهينني بهذا ! لقد مات زوجي ولم أنجب ولداً ولن أتزوج أحداً من حاشيتي ، ولم أكتب إلا اليك طالبة المساعدة. الناس يقولون إن لديك عدداً من الأولاد فارسل الي بأحدهم أتخذه زوجاً لي » .

بهذه الصراحة المتناهية تكتب ملكة مصر الأرملة الى ملك حثي وتتحدث عما يخالج نفسها من حزن وقلق .

ويرسل الملك أحد أبنائه ، وكان من عادة ملوك الحثيين تقوية الروابط مع جيرانهم بالنسب. لكن الفتى قتل على يد من كانت الملكة تخشاه ، والذي استولى على الملك وتزوج الملكة في النهاية . ان الصرخة اليائسة في رسالة تلك الملكة ستظل من أكثر وثائق التاريخ القديم إثارة ، وسيظل حزنها ومأساتها ، في رسائلها يحركان العواطف على الرغم من مضي ٣٣ قرناً من الزمان .

ويمضي التاريخ بتلك الأمم ، ويأتي آشور بنيبال ، آخر ملوك الأشوريين ، الذي يقال بأنه كان الملك الوحيد الذي يعرف القراءة والكتابة خلال ثلاثة آلاف عام من التاريخ القديم لبلاد ما بين النهرين ، فقد كان متخرجاً من مدرسة لها مكانتها في ذلك الزمن . إذ أن الأشوريين اتبعوا نظام السومريين في الدراسة والتدريس . وقد كان لذلك الملك مكتبة غني بترتيبها ولم يكن لها مثيل في العالم في ذلك الحين . ويقال بأنه كان يطلب من الحكام والمبعوثين احضار مختلف المخطوطات والنقوش من سائر الأقطار لعمل نسخ عنها وحفظها في مكتبته التي كانت بحق أول متحف من نوعه ، وكان لها الفضل في حفظ الكثير من أثار السومريين . وقد كتب الملك آشور بنيبال نفسه عن أهمية دراسة آثار الأقدمين وترجمتها وحفظها مستخدماً في ذلك نصوصاً لا يتردد مدراء المتاحف في العصر الحديث عن قبولها والعمل بها .

وكما فعل آشور بنيبال في حفظ آثار من سبقوه ليتعلم الخلف من السلف ، نفعل نحن اليوم ، وسيفعل أبناؤنا كذلك في المستقبل والى ما شاء الله ●

ابراهيم أحمد الشنطي

بتصرف عن مجلة «مان كايند» ــ روبرت آرندت



# الحلم* كما يفسره العلماء

بقلم: الاستاذ سليم واكيم

لعلنا في هذه الدراسة نعرض الى دور الحواس البصرية والسمعية واللمسية في ظاهرة الحلم ، ودور الذاكرة فيها . وسنبحث في آلية الادراك في ظاهرة الحلم ، والطابع النفساني للنوم ، واللامبالاة والاستراحة وحالة التوتر عند الحالم .

ها أنا أحلم . أرى أمامي أشياء كثيرة لا وجود لشيء منها على الاطلاق . واعتقد بأني اتحرك من مكان الى آخر واقوم بسلسلة من الأعمال والمغامرات في حين اني لا أزال ارقد في سريري ، بهدوء . ما هو مصدر هذا التوهم ؟ لماذا نرى اشخاصاً واشياء كما لو كانت فعلاً حاضرة وموجودة ؟

يجدر بنا ان نتساءل بادىء ذي بدء ، الا توجد مادة حساسة تشكل مصدراً من المصادر في متناول البصر والسمع واللمس . . الخ ، في النوم كما في اليقظة ؟

لنغمض اعيننا ونَرَ ما سيحصل ! كثيرون من الأشخاص يقولون انه لا يحصل شيء . هؤلاء لا ينظرون بانتباه ووعي . وفي الحقيقة اننا نرى أشياء كثيرة . نرى اولاً قعراً اسود ، ثم نرى بقعاً متلونة قاتمة تارة وباهتة تارة اخرى ، وتتحرك هذه البقع ، وتمتد وتتقلص ، وتتبدل اشكالها ، وتتجاوز الواحدة الأخرى ، فتتراكم بعضها فوق بعض وقد يكون تحركها بطيئاً في بعض الأحيان ، وسريعاً في أحيان اخرى .

ما هو مصدر هذه الظاهرة ؟ يذهب علماء الفسيولوجيا وعلماء النفس الى القول بأنها آثار غبار مشع واشباح بصرية ومادة فوسفورية . وهم ينسبون هذه الظواهر الى تعديلات طفيفة في جريان الدم ، او بالأحرى ، الى الضغوط التي يمارسها الجفن على بؤبؤ العين ، فتثير عروق العين بصورة آلية .

لقد لاحظ كل من « الفرد موري » و « هرفي دي سان دنيس » ان هذه البقع الملونة ذات الأشكال المتحركة تتجمد عند الرقاد ، راسمة بذلك الأشياء التي سيتألف منها الحلم . لكن هذه الملاحظة كانت موضع جدل وحذر لدى العديد من علماء النفس . غير ان « لاد » وهو فيلسوف اميركي واستاذ في جامعة « يال » يرى طريقة اخرى اكثر تعقيداً . الا وهي ان تبقى العينان مغمضتين عندما يستيقظ المرء وان يحفظ خلال لحظات الحلم الذي يوشك ان ينفلت من ميدان الرؤيا ، وبالتالي من ميدان الذاكرة . وهكذا نرى ان مادة الحلم او أشياء تذوب في حبيبات من الفوسفور ، فتمتزج مع البقع الملونة التي كانت تراها العين فعلياً عندما كانت الجفون مطبقة . وعلى سبيل المثال لنفرض ان حلماً كان يقودنا في نزهة في البحر حيث يبدو الأفق من بعيد

---

* محاضرة لـ « هنري برغسون — Henri Bergson » القاها في معهد علم النفس العام في باريس في ٢٦ مارس ١٩٠١ .

والأمواج ذات اللون الرمادي . وفي اليقظة سرعان ما نرى ان كل شيء قد توارى في بقعة رمادية كبيرة تتخللها نقاط لماعة ، وذلك نتيجة لغبار بصري . وهذا الغبار هو شكل ذلك الحلم الذي تراءى لنا في نومنا .

والى جانب المصدر البشري ، هناك مصادر اخرى لحدوث ظاهرة الحلم . فبالرغم من اغماض الجفنين ، فان العين تستطيع ان تميز النور من الظلمة . اذن فالأحاسيس التي يسببها نور حقيقي هي التي تكمن وراء حدوث معظم احلامنا . فاضاءة شمعة تكون لدى النائم ، ان لم يكن نومه عميقاً ، مجموعة من الرؤيا تسيطر عليها فكرة الحريق . وفي هذا الصدد يعطي « تيسييه — *Tissie* » مثالين : احدهما ان شخصاً قد يحلم بنشوب حريق في مسرح ما والنار تضيء كل الحي ثم فجأة يرى نفسه في الساحة ، واذ بسور من النار يلتهم السلاسل الكبرى التي تحيط بأعمدة سياج الحوض . ثم يجد نفسه في المعرض الذي اندلعت فيه النيران ، يشهد المأساة . . فيستيقظ مذعوراً . واذا به يرى نوراً ينبعث من قنديل يتمايل في يد شقيقته التي كانت تجول في ارجاء غرفته .

أما المثال الآخر فهو ان شخصاً آخر سبق له ان التحق باحدى فرق المشاة البحرية ، فحلم بأنه ذهب الى قلعة فرنسا ، فطولون ، فلوريان ، فالقرم ، فالقسطنطينية . وهناك لمع وميض البرق وسمع قصف الرعد وشارك في معركة ابصر فيها أفواه المدافع تطلق النيران . فاستيقظ مذهولاً ، واذا به يرى القنديل ذاته يتهادى نوره في ارجاء غرفته . فهذه الظاهرة من ظواهر الحلم يفسرها « تيسييه » بأنها تحدث نتيجة نور مفاجيء ينبعث في ارجاء غرفة النائم .

لكن الاحلام التي يسببها نور مستديم وهادىء كضوء القمر مثلاً تختلف عن الاحلام الأخرى . وفي هذا الصدد يروي « كروس » قصة مفادها انه استيقظ ذات ليلة وهو يمد ذراعيه الى فتاة ، فرأى أن هذه الفتاة لم تكن سوى القمر الذي كان يرسل اليه شعاعه من نافذة حجرته . هذه الظاهرة من الحلم كثيرة الحدوث ، ويبدو ان شعاع القمر ، عندما يداعب عيني النائم ، يسبب لهذا الأخير احلاماً تتصل بالحب العذري .

للاذن ايضاً احاسيسها الداخلية في هذا المضمار — الأنين ، والرنين ، والصفير التي لا نميزها تماماً في المساء الذي يسبق الحلم ولكنها في النوم تنجلي بوضوح . ونظل حتى بعد النوم أحياناً نسمع اصواتاً مزعجة ، كازاحة طاولة ، او قرقعة حديد ، أو هطول أمطار ، او صفير رياح . فهذه الأصوات تنقلب في اذن النائم وتتحول الى رؤيا او محادثات او صراخ . وجدير بالذكر ان للالحان اثرها في حدوث ظاهرة الاحلام تماماً كما هي الحال بالنسبة الى الأشكال والألوان . لكن الأحاسيس البصرية أكثرها تأثيراً ، اذ غالباً ما نظن أننا نرى أشياء في حين نعتقد اننا نسمعها ، والعكس بالعكس . ويحدث لنا احياناً ، كما يقول « ماكس سيمون » ان نقيم حواراً مع شخص آخر ، نحادثه ويحادثنا في حين نلاحظ فجأة ان احداً لم يكن يتحدث الينا . . . وان ما حدث كان مجرد تبادل افكار او مجرد حديث صامت

ومن المثير حقاً ان نرى كيف ان احاسيس الضغط المتصاعد نحو الميدان البصري والمستفيدة من الغبار المشع الذي يهيمن عليه يمكنها ان تتحول الى اشكال والوان مختلفة . فمثلاً ، رأى « ماكس سيمون » ذات يوم في الحلم انه كان امام مجموعتين من الذهب ، فاراد ان يساوي بينهما فلم يتمكن ، فشعر بشيء من الامتعاض حتى انه لم يعد قادراً على الاحتمال ، وعندما استيقظ ، ابصر ان احدى رجليه اسيرة الشرشف ، ولم يتمكن وهو نائم من فك اسرها . وهكذا فان احساساً غامضاً بعدم المساواة ولد هذه الرؤيا في الميدان البصري حيث وجدت بقعة او بقع صفراء عبرت عن مجموعتي الذهب . من هنا يتبين لنا ان احاسيس **اللمس الداخلي** تتحول الى احاسيس بصرية فتظهر بهذا الشكل خلال الحلم .

واهم من ذلك هو ان احاسيس اللمس الداخلي الناتجة عن أعضاء الجسد ولا سيما الاحشاء . فهناك اشخاص ممن لديهم استعداد للاصابة بالتهاب الحلق واللوزتين يشعرون خلال الحلم باعراض هذا الالتهاب ، فيستيقظون لا مبالين ، وعند اليقظة يجد هؤلاء الأشخاص انفسهم مصابين فعلاً بهذا الالتهاب . والأمثلة على ذلك عديدة منها ان اعداداً كثيرة من الناس أصيبوا بأمراض تراءت لهم في الاحلام وباتت حقيقة .

نستخلص مما تقدم ، ان حواس الانسان أثناء النوم الطبيعي تظل يقظة تجاه الانطباعات الخارجية ومؤثراتها ، ولكن ليست بالدقة او التأثير نفسه . لذلك لا يمكننا الافتراض ان استيعاب المرء او ادراكه للأشياء يتقلص عند النوم ، بل انه يتسع ويزداد في نواحي معينة على الأقل . غير ان قوة الادراك او الاستيعاب قد تفقد شيئاً مما تكسبه من هذا الامتداد نتيجة للتوتر وعند ذلك تحدث الأحلام بتأثير الحس الواقعي .

انّ الأحاسيس التي تشكل مادة الأحلام مبهمة وغير محددة . فلنأخذ مثلاً تلك البقع الملونة التي تتراءى امام أعيننا عندما نغمض جفوننا . انها خطوط سود ، قد تبدو لنا في شكل سجادة او في شكل رقعة الشطرنج أو في شكل ورقة بيضاء كتب عليها بعض السطور . فالشكل الذي يطبع قراره لاقرار المادة ، هو الذكرى بعينها .

لقد بحثت طويلاً عن ملاحظات أكثر عمقاً حول ظاهرة الحلم ، ولم أجد سوى تلك التي أعرب عنها الروائي الانكليزي « ستيفنسون » في فصل طريف بعنوان « فصل عن الاحلام » يخبرنا فيه بأن قصصه الأكثر طرافة انما كانت من بنات أحلامه . ولكن اذا قرأنا هذا الفصل ملياً ، فاننا نلاحظ ان الكاتب عانى في فترة معينة من حياته حالة نفسية يصعب معرفة ما اذا كانت قد حدثت في اليقظة او في المنام . **واعتقد انه عندما** يبذل الفكر الطاقة المناسبة لايجاد عمل ما او لحل معضلة ما فليس ثمة

نوم بالمعنى الصحيح ، اذ ان الجزء من العقل الفعال هو الجزء نفسه الذي يحلم ، يواصل في عقله الباطني بحثاً يبقى دون ما تأثير على الحلم ولا يظهر الا في اليقظة . أما الحلم في حد ذاته ، فهو ليس سوى مجرد تجديد للماضي . فغالباً ما يكون هذا الماضي عبارة عن ذكرى تبدو أنها زالت لكنها في الحقيقة تكمن في أعماق ذاكرتنا . وغالباً ما تكون الصورة التي نشاهدها في حلمنا ، صورة شيء مررنا به مرور الكرام خاصة وان ثمة ذكريات متقطعة تتجمع هنا وهنالك ، فتتمثل في ضمير النائم بشكل منسجم . اما هذا التجمع اللامعقول فغالباً ما يسعى العقل لايجاد تفسير له . وقد ينسب عدم التكامل والانسجام في هذه الصورة التي تتراءى للنائم ، الى ثغرات باجترار ذكريات اخرى تبدو غالباً في غير انسجام ، وتدعو بدورها الى تفسير جديد ، وهكذا دواليك . اذ يكفي ان اقول ، ان الطاقة الاعلامية التي تحول تلك المؤثرات المبهمة التي وردت عن طريق العين والأذن ومساحة كل الجسد وداخله الى أشياء واضحة ومحددة ، ان هذه الطاقة هي الذكرى .

هناك ذكريات كثيرة تظهر وتتوارى وتلفت انتباهنا بين الحين والآخر . لكنها ذكريات ذات صلة وثيقة بحالتنا وعملنا . ان الذكريات التي نتذكرها في المساء ، مهما بدت غريبة عن اهتمامنا تلتصق بنا بجهة من الجهات . ان هذه الذكريات تظل على اتصال دائم بحاضرنا وتتوغل باتجاه مستقبلنا . ولكن خلف هذه الذكريات الناجمة عن مشاغلنا آلاف من الذكريات تحيط بمسرح الضمير المضاء من كل جانب . غير ان الذكريات التي تحفظها الذاكرة في أعمق اعماقها المظلمة ، هي أشبه بحالة أشباح غير منظورة .

ان احلامنا تنشأ تقريباً على صورة الرؤية التي نكونها عن العالم المحسوس . ان ما نراه من غرض موضوع أمام أعيننا ، أو ما نسمعه من عبارة مثلت في اذننا لقليل جداً بالنسبة لما تلتقطه ذاكرتنا . عندما تقرأ جريدتك او تتصفح كتابك ، اتظن انك تبصر كل حرف من كل كلمة . او كل كلمة من كل جملة ؟ اذا كان الأمر كذلك فلا اعتقد ان باستطاعتك ان تقرأ كثيراً طوال النهار . الحقيقة انك لا تلاحظ من الكلمة او العبارة الا بعض الحروف او بعض الخطوط الرئيسية . تظن انك ترى كل الحروف . ولكن التجارب اثبتت العكس .

**وهكذا** نرى ان معرفة شيء في حالة الوعي تستلزم عملية مماثلة للتي تتم في حالة الحلم ، لا نلاحظ من هذا الشيء سوى رسمه التمهيدي ، وهذا يوجه نداء الى ذكرى الشيء الكامل الناجز ، والذكرى الكاملة التي كانت لا تزال في الداخل شأنها شأن فكرة عادية تنتهز الفرصة لتقفز الى الخارج . ان هذا النوع من الوهم المحصور ضمن اطار حقيقي هو الذي يظهر أمام أعيننا عندما نرى الشيء . وثمة أشياء كثيرة يمكن تحليلها والادلاء بها حول وضع الذكرى ومسلكها في مجرى العملية . ولا يجوز الاعتقاد بأن الذكريات الكامنة في الذاكرة تبقى بلا حراك ولا مبالاة ، انها تترقب . فعندما نتصفح الجريدة ، يقع احياناً نظرنا على كلمة تعني شيئاً بالنسبة الى همومنا ومشاغلنا دون ان يكون ثمة معنى للجملة وسرعان ما نلاحظ ان الكلمة المقروءة لم تكن الكلمة المطبوعة . لم يكن بينهما سوى معالم مشتركة معينه ، وتشابه مبهم في الشكل . فالفكرة التي كانت تتملك حواسنا هي التي اعطتنا اليقظة في حالة اللاوعي .

ان عدم استقرار الحلم يفسر بسهولة . بما ان الحلم يهدف الى عدم ضبط الحس بالذكرى . ولكن ليبقي بينهما مكاناً تنفذ منه في وجه الحس نفسه ذكريات شتى . لنر على سبيل المثال ، في ميدان الرؤيا بقعة خضراء تتخللها نقاط بيض ، وتستطيع هذه البقعة ان تجسد حديقة خضراء تتخللها زهور ، وطاولة بليارد مع كراة بيض . وتارة تتبادلان ، فتصبح الحديقة طاولة والطاولة حديقة .

أما السرعة التي تمر بها الأحلام ، فانها تبدو نتيجة اخرى للسبب ذاته . اذ ان الحلم يستطيع في بضع ثوان ان يصور لنا سلسلة من الأحداث تملأ اياماً طويلة في اليقظة . غير ان تسارع هذه الصور وتواردها ليس فيها اي طابع سري اطلاقاً ، تصوروا ان صور الحلم هي صور رؤيا . والأحاديث التي يعتقد الحالم انه سمعها هي في معظمها اجترار او اكتمال او تضخيم يتحقق عند اليقظة . وربما ايضاً ، في بعض الحالات ، لم تكن هذه سوى مجرد فكرة الحديث ، أو معناه المرافق للصور . اذ ان هذه الصور تتزاحم دفعة واحدة في اطار رؤيا واحدة وفي عدد قليل من اللحظات . لذا ، ليس من المستغرب او العجيب ان يجمع الحلم في دقائق ما تجمعه اليقظة في عدة أيام . ان الحلم يختصر ويعمل في اليقظة اسوة بالذاكرة ، تكون الذكرى البصرية التي نستخدمها للتعبير عن الحواس مجبرة على ان تركز على هذه الأخيرة فيليها العرض الذي يستغرق الوقت نفسه . باختصار ، ان ادراك الأحداث الخارجية يستغرق المدة ذاتها .

**تبقى** مسألة اخرى وهي : لماذا يختار الحلم بين هذه الذكريات او تلك ؟ ان ظواهر الحلم لا يمكن تفسيرها أكثر من ظواهر اليقظة . اذ في النوم العادي ، تستعيد احلامنا افكاراً مرت كمرور البرق او اشياء مررنا بها مرور الكرام ، دون ما اكتراث ، فاذا رأينا في الحلم احداثاً حصلت في النهار ، فان هذه الأحداث التافهة ، وليست الأحداث المهمة التي نراها عادة ، هي تلك التي نراها من جديد . اني أؤيد نظريات « ديلاج » و « روبير » و « فرويد » ، في هذا الصدد . ها أنا في الشارع ، انتظر القطار انه لن يصدمني ما دمت واقفاً على الرصيف . فاذا مر القطار بقربي وتملكني الخوف فرجعت الى الوراء ، أحلم في الليل ان القطار سحقني . وها أنا أسهر في النهار على مريض هو في حالة يائسة . فاذا ما تراءى لي بصيص نور ، حلمت في الليل ان المريض قد شفي . اني احلم بالشفاء أكثر مما احلم بالموت او المرض . باختصار ، ان ما يختاره الحلم هو ما نلاحظه بصورة اقل ●

**سليم واكيم — بيروت**

# في أرض الغربة

للشاعر: محمد رضا آل صادق

أيــامـيَ الثكلـــى واحـلامـي الـتي ذهبـت سـدى ... !
مــــا زلـت أذكـرُهـــا فتغمـرُ خاطري صـــورُ الاســى

* * *

قـــد كنــت أحتَـثُّ الخطى وأجـــوب صحـــراءَ الضنى
أمضـي وبـي عـــزم الشبـاب وراء قـــافلـــةِ المنـــى !
أشـــدو بقيثــــارٍ لـــه لــلآن فـــي أفقـــي صـدى
رغــــم الشقــاءِ ورغـــم آلام تــرامــت فـــي المــــدى
لكننـــــي ..قـــد عُــــدت بالحسرات تقـــذفُهـــا الحشى
مستسلمـــاً لليــــأس والبرَحَـــــاء منهـــــوكَ القــــوى
يـــا للجـــراح .. جـــراحُ قلبـي يشرئبّ بهـــا اللظـــى

* * *

آهِ لأمْـسٍ مشـــــــرقٍ آه لـــــه كيـف انطـوى ؟ !
فـــاذا بـآفـــاقـي الـرحـابِ تَفِـــرّ منهـــن الـــرؤى
واذا بنفسي – وهــــي حــــيرى – فـــي خضـم قـــد طمـــا ..
الصمـــتُ لفّـــع وجهَهـــا فتكـــادُ تغـــرق في الدجى
ويظـــل ينهشهـــا الـــذهـــولُ ويكتـــوي فيهـــا الجـــوى
يــــا غــربـــةً علمتنـي كيـــف يختنـــق الشـــذى
وتنــــام أطيـافُ الحيـــاة وراء جـــــدرانِ الفنـــــا
يـــا ليت عمــــراً قـــــد تصـرم كان فـــي بطـن الـثرى .

# كليّة الطب

## دعامة في صرح جامعة الرياض

كان عام ١٣٧٧هـ عاماً مشهوداً في تاريخ النهضة العلمية في المملكة العربية السعودي
الدّولة خطوة واسعة في حقل التطوّر العلمي، إذ وضعت اللبنة الأولى في صرح أول جامعة عربي
تضطلع بتخريج أجيال مثقفة واعية مزوّدة بسلاح التعليم الجامعي تنهض على كواهلها البلا
وتضم الجامعة الأم ثماني كليّات كان آخر لبنة في صرحها كليّة الطب، التي هي موضو



طالب يفحص شريحة لنوع من الأنسجة بواسطة المجهر .






– نموذج لمبنى كلية الطب الذي يجري بناؤه حالياً على طريق الدرعية .

– أعمال الانشاءات في مبنى كلية الطب الجديد على طريق الدرعية .



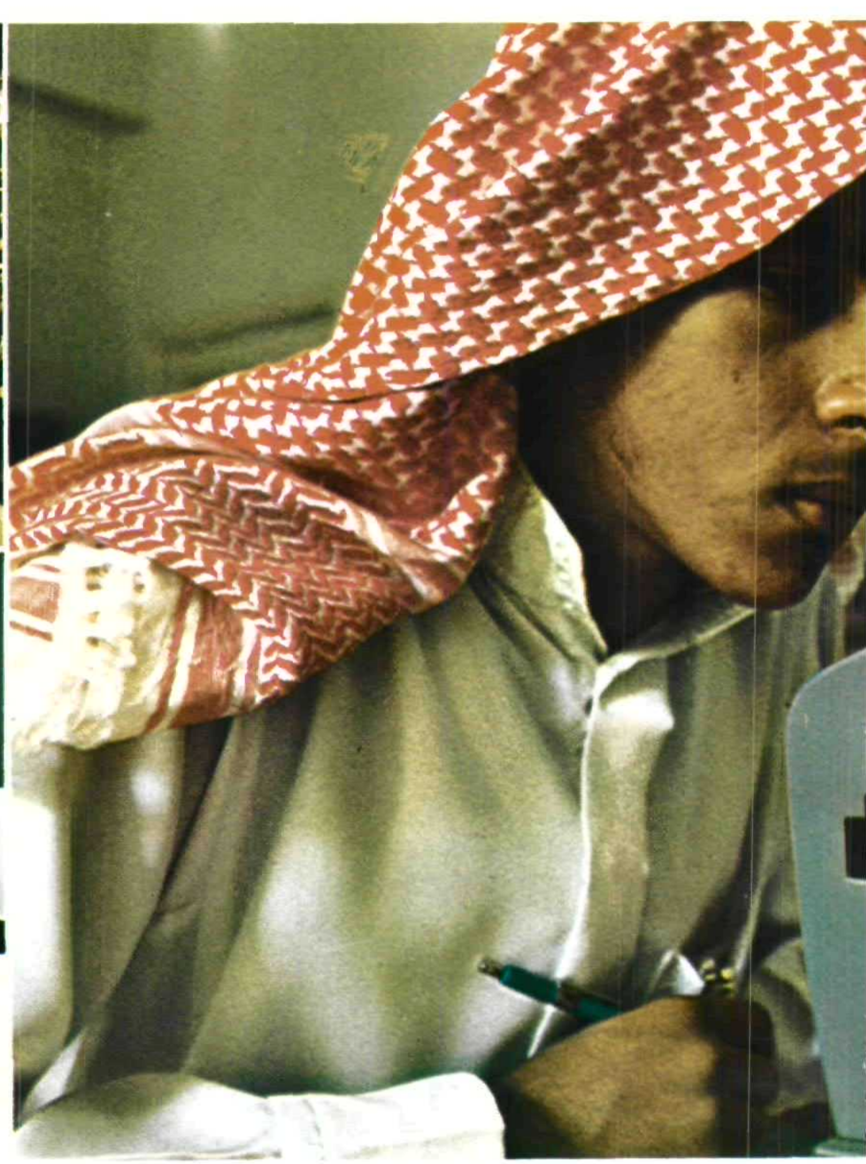
ـفي ذلك العام خطت
ـعودية هي جامعة الرّياض ،
ـسهم في عملية التطوّر والبناء .
ـستطلاعنا في هذا المجال .





١- قاعة المؤتمرات في قاعة الملك فيصل بالرياض تغص بالمدعوين أثناء حفل التخرج .

٢ - مجموعة من الطلاب يستمعون الى شرح عن الهيكل العظمي الانسان .



**انها** لبنة أخرى في صرح الجامعة الأم في المملكة العربية السعودية ، وآخر الكليات التي افتتحت في جامعة الرياض ، وكان ذلك عام ١٣٨٩هـ الموافق ١٩٦٩م . وهي تهدف الى اتاحة الفرصة للشباب السعودي لدراسة الطب البشري داخل المملكة بعد أن تم تزويد الكلية بالمختبرات والمعدات والأساتذة الأخصائيين في الطب البشري في مختلف مراحل الدراسة ، وذلك لخدمة الوطن من ناحية ، وتأمين حاجة المملكة من الأطباء السعوديين وتحقيق الاكتفاء الذاتي في هذا الحقل الانساني من ناحية أخرى .

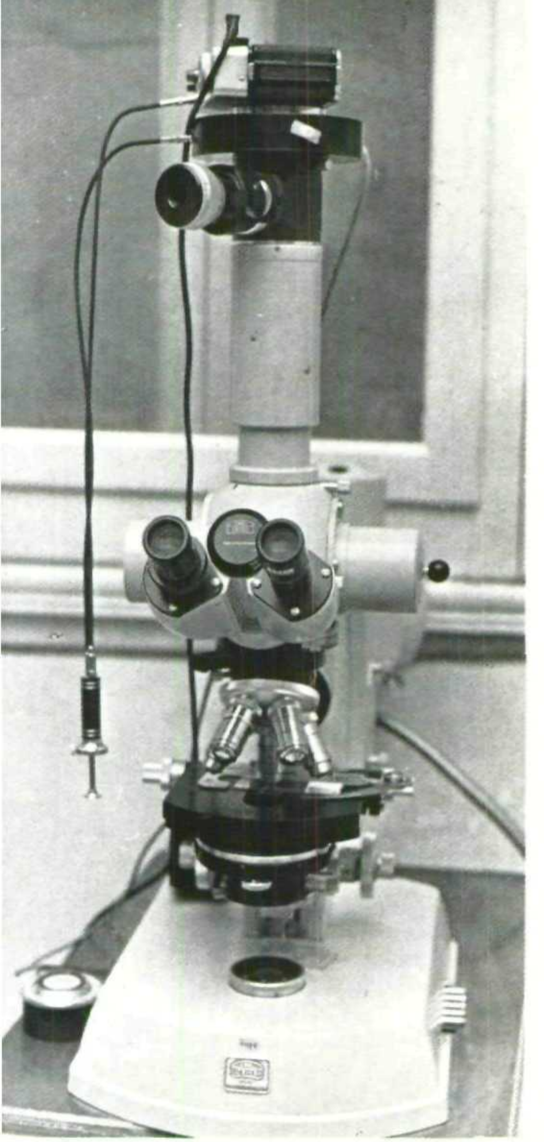
وقد احتفلت كلية الطب يوم الاثنين ١٦من ذي القعدة ١٣٩٦هـ بتخريج الدفعة الأولى من خريجيها من الأطباء السعوديين ، في حفل تكريمي أقامته جامعة الرياض تحت رعاية جلالة الملك خالد بن عبد العزيز . وقد حضر الحفل صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله ابن عبد العزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني ، ومعالي الشيخ حسن عبد الله آل الشيخ وزير التعليم العالي ، ومعالي الدكتور عبد العزيز عبد الله الفدا مدير جامعة الرياض ، وسعادة الدكتور جمال عبد القادر فطاني عميد كلية الطب بجامعة الرياض ، وعدد من أصحاب السمو الملكي الأمراء ، والمعالي الوزراء ، وجمع من أعيان المدينة ووجهائها . كما حضر الحفل وفد عن كليات الطب بجامعة لندن . وقد بلغ عدد الدفعة الأولى من الخريجين ٢٠ طبيباً .

وبهذه المناسبة وجه جلالة الملك خالد كلمة للخريجين استهلها بالآية الكريمة « **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات** » . وقال : ان حكومة هذا البلد العظيم التي ما فتئت تبذل كل ما هو غال وعزيز في سبيل رفعة شأن أبنائها سوف تظل سخية في تقديم كل ما يلزم أبناءها في سبيل العلم ومسايرة ركب الحضارة . واننا لنتطلع الى مزيد من النهضة لتصبح المملكة العربية السعودية كما كانت في سالف عهدها مناراً للعلم ومورداً لطلابه وموئلاً لنشر الفضيلة والكرامة حتى نبز بذلك أرقى جامعات العالم وما ذلك على الله بعزيز » .

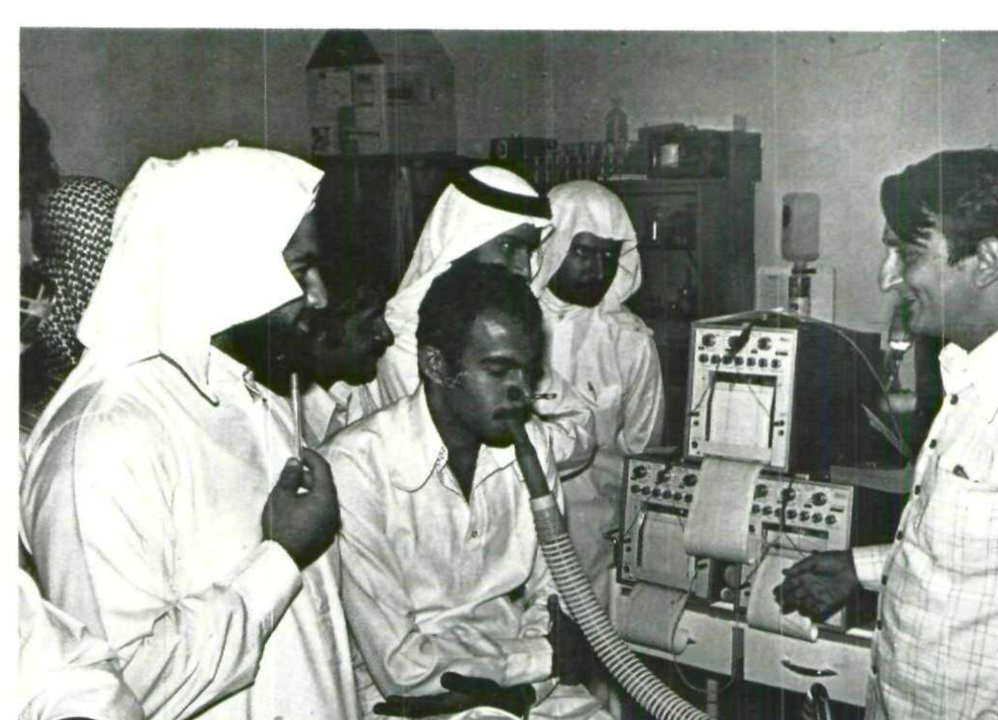
وعن رسالة الطب قال جلالته موجهاً النصح للخريجين : « ان الطب رسالة انسانية جليلة . ولعل أهم ما نوصي به بعد تقوى الله هو أن تؤدوا أمانة الطب وأن تحافظوا على شرف المهنة ، وأن تراقبوا الله فيما اؤتمنتم عليه من الأرواح ، فإنها أمانة في رقابكم واتقوا الله في الفقير ، فما من حسنة إلا ويجازي الله عليها بالحسنى . وفقكم الله وسدد خطاكم وأنار لكم السبيل » .



معالي الدكتور عبدالعزيز الفدا مدير جامعة الرياض بمكتبه



من المعدات الطبية الحديثة التي تضمها كلية الطب هـذا المجهر الألكتروني الحديث .



درس خاص عن عمل الجهاز التنفسي لدى الانسان .



الأطباء المتخرجون في قاعة المؤتمرات أثناء حفل التخرج .

وفي نهاية الحفل تفضل جلالة الملك المعظم فقدم الهدايا التذكارية الى الأطباء الخريجين وهي عبارة عن حقائب طبية تحوي الأدوات الطبية التي تلزم الطبيب في عملية الكشف على المريض . كما تفضل معالي الدكتور عبد العزيز الفدا ، مدير جامعة الرياض ، بتقديم درع الجامعة الى جلالة الملك المعظم .

إن كلية الطب بجامعة الرياض هي أول كلية للطب تفتتح في المملكة ، وهي تحتضن مجموعة من الأبنية تضم قسم الادارة العامة للكلية ، والأقسام والفروع الأخرى التابعة لها ، وغرف التدريس ، والمختبرات ، والمعامل ، والمكتبة العلمية الخاصة بها . والدراسة في الكلية مجاناً ومدتها ست سنوات . وقد أنشيء قسم الطالبات بكلية الطب في مطلع العام الدراسي ١٣٩٥/٩٤هـ الموافق ١٩٧٥/٧٤م ، وهو يتبع ادارياً لكلية الطب وذلك بهدف اعداد الطبيبات المتخصصات للعمل في مستشفيات المملكة العامة ، منها والخاصة . وتجهز الكلية الآن مبنى خاصاً بالطالبات يحتوي على قاعات للمحاضرات والمعامل المختبرية . ويشرف على تدريس الطالبات مدرسات متخصصات بالاضافة الى التدريس بواسطة التلفاز ذي الحلقة المغلقة .

وهناك تعاون وثيق قائم بين كلية الطب ومجموعة كليات الطب لجامعة لندن من حيث اعداد المناهج الدراسية واختيار المدرسين والمدرسات الأجانب ، كما يحضر الممتحنون من جامعة لندن للاشراف على امتحانات الكلية .

لقد التحق بالكلية لدى افتتاحها ٣٥ طالباً ، كان المتخرجون العشرون منهم ، وقد قضوا جميع سنوات دراستهم في المملكة . ثم تزايد عدد الملتحقين بها حتى بلغ في العام الدراسي الحالي ٣١٨ طالباً وطالبة ، يتوقع أن يتخرج منهم ٢٧٠ طبيباً على الأقل ، بعد ٦ سنوات ، من بينهم ١٢٠ طبيبة .

ويتولى التدريس في الكلية هيئة تدريسية قوامها ٧٥ مدرساً ومدرسة ، منهم عشرون في المائة من السعوديين .

## أقسام كلية الطب

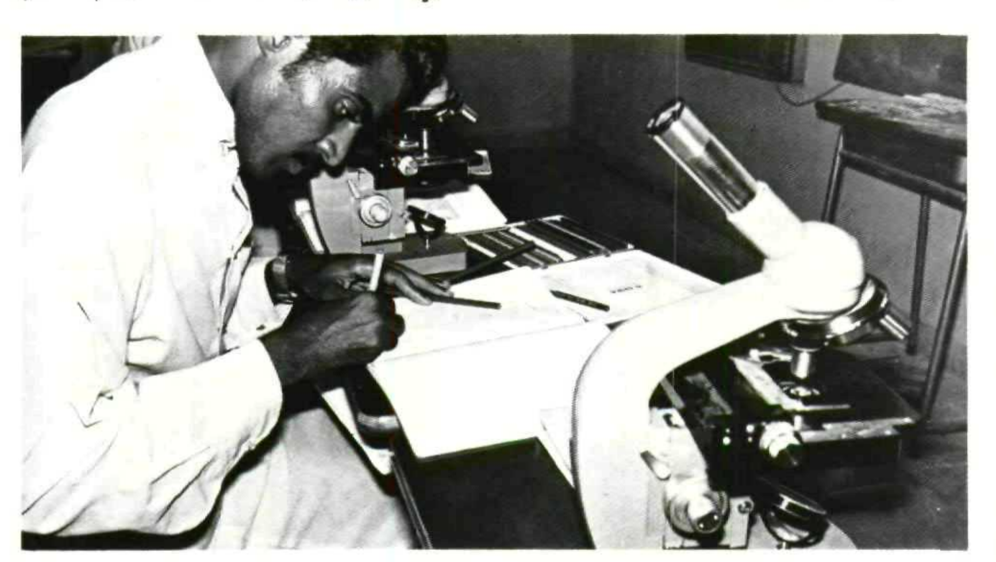
تضم كلية الطب ١٢ قسماً تغطي جميع فروع الطب موزعة على ثلاث مراحل . وتشمل المرحلة الأولى القسم الاعدادي للسنة الاعدادية التي تضم الفروع التالية :

◦ **فرع الفيزياء :** ويدرس في السنة الاعدادية فقط . ويجري التركيز فيه على العلم التجريبي . وتشمل الدراسة في هذا الفرع المحاضرات والمناقشات والدروس العملية .

◦ **فرع الكيمياء :** ويدرس في السنة الاعدادية ، وهو مدخل الى الكيمياء العامة والطبيعية مع تركيز على المختبر ، وتشمل الدروس العملية فيه تعلّم الطرق الأساسية وتوضيح النظريات الكيميائية الطبيعية ، بالاضافة الى الدروس النظرية .

◦ **فرع الأحياء :** ويقتصر على منهج الأحياء الاعدادية وهو معادل لشهادة الدراسة العامة القسم — أ والذي يشتمل على تصنيف الحيوان ، والخلية وصبغتها ، والأنسجة ، والعلاقات بين أنواع الطاقة ، وأقسام ووظائف أجهزة الجسم ، والوراثة والبيئة ، وعلم الأجنة ، وعلم الغدد الصماء ، والطفيليـــات ، والميكروبيولوجي ،

◦ **فرع اللغة الانجليزية :** ويهدف الى اعداد الطلبة إعداداً كافياً يمكنهم من القراءة بسهولة ، وفهم المحاضرات واستيعابها ، وطرح الأسئلة ، وكتابة المقالات والتقارير بأسلوب علمي سلس ، بالاضافة الى تشجيعهم وحثهم



طالب يدون معلومات استقاها من شريحة بعد أن فحصها بالمجهر .

على التحدث بقدر الامكان ومن ثم الاشتراك في المناقشات والندوات في المستقبل .

أما المرحلة الثانية ، وهي مرحلة ما قبل الطب السريري للسنتين الأولى والثانية ، فتشمل الأقسام التالية :

• **قسم اللغة الانجليزية :** ويدرس فيه طلاب السنة الأولى قواعد اللغة الانجليزية ، وفن الدراسة الطبية .

• **قسم التشريح :** ويشمل التشريح المجهري المتعلق بالأنسجة والخلية وصبغتها ، وتشريح الأعصاب الاجمالي بالعين المجردة وتحت المجهر ، والتشريح بالأشعة ، وهو عبارة عن دراسة لوحات أشعة لمختلف أجزاء الجسم في الأوضاع العادية ، وعلم الأجنة ، بالاضافة الى دراسة مدخل الى الوراثة الانسانية .

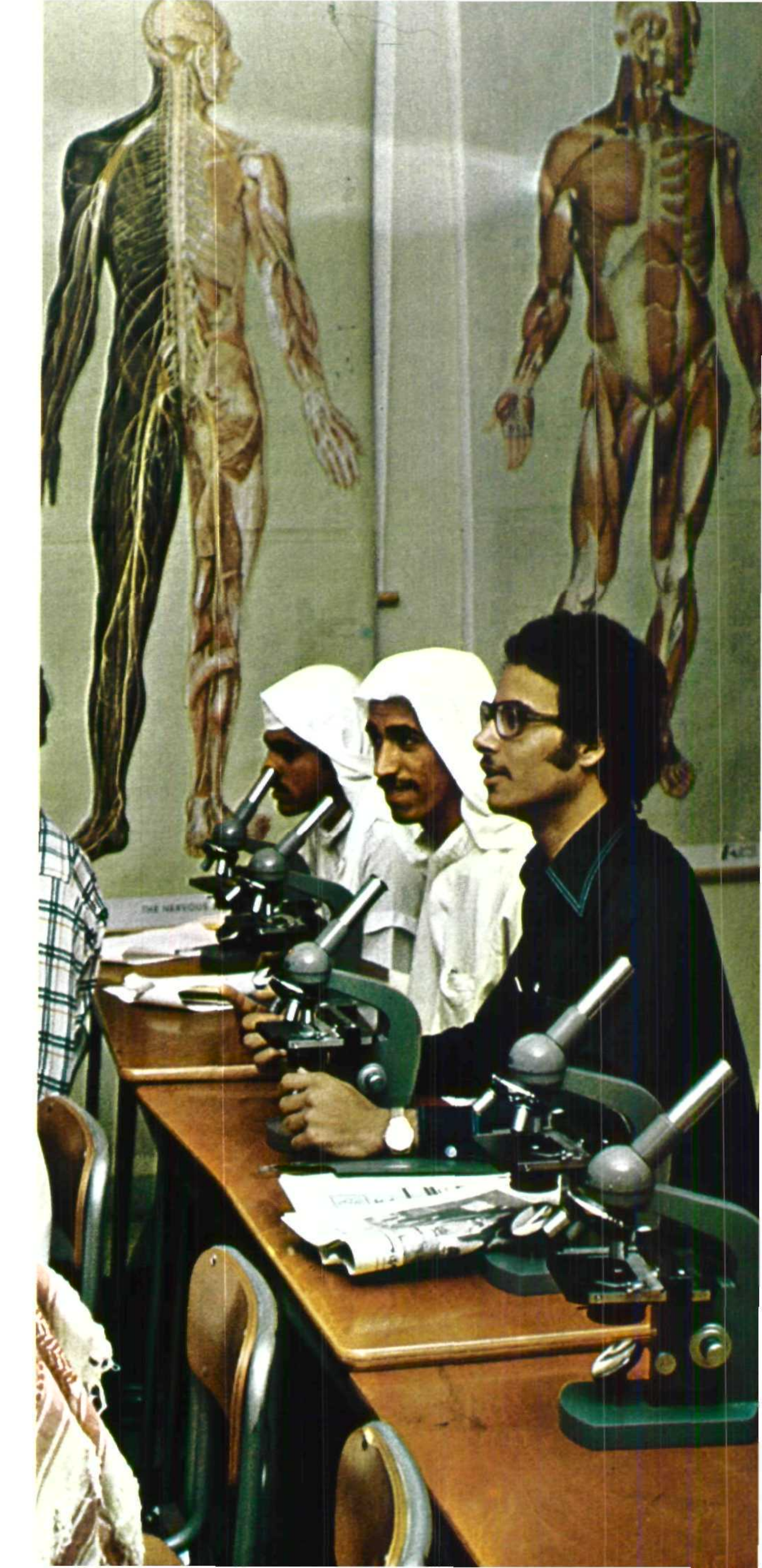
• **قسم الكيمياء الحيوية :** ومدة الدراسة فيه سنتان ، ويخصص القسم الأول من السنة الأولى لأساسيات الكيمياء العضوية ، ويشمل الكيمياء العضوية لمحتويات الأنسجة والانزيمات ، والاستقلاب ، والأيض ، وكيمياء الأنسجة الحيوية ، وكيمياء الغدد ذات الافراز الداخلي ، وكيمياء الوراثة الحيوية .

• **قسم وظائف الأعضاء :** وفيه يتلقى الطلاب دروساً عن وظائف الأعضاء الداخلية ، والتنفس ، والقلب ، والدورة الدموية ، والهضم ، والاستقلاب ، والأيض ، والتغذية ، والكُلية ، والتحكم بوسائل الجسم ، والجهاز العصبي ، والغدد ذوات الإفراز الداخلي ، والعضلات ، والجهاز التناسلي .

أما المرحلة الثالثة فتشمل قسم الطب السريري للسنوات الثالثة والرابعة والخامسة ، وهي تتألف من الأقسام التالية :

• **قسم علم الأدوية والعلاج (الاقربازين) :** وفيه يتلقى الطلاب محاضرات وعروضاً عن أثر الأدوية على القلب ، والدورة الدموية ، والأنابيب التنفسية ، والقناة الهضمية ، والجهاز الافرازي ، والدم ، والجهاز العصبي ، ويدخل ضمنه المخدرات ، والمهدئات ، والمنومات ، وأدوية العلاج النفسي ، والهستامين ، والحساسية ، والهرمونات ، والمؤثرات والمخدرات الموضعية ، والعلاج بالكيماويات للأمراض البكتيرية والطفيلية .

• **قسم علم الأمراض :** وتركز الدراسة فيه على محاضرات عن علم الأمراض العام والخاص ويشمل ذلك ، الوراثة وعلم أسباب المرض ،



جلالة الملك خالد يقدم هدية لأحد الخريجين ، وهي عبارة عن حقيبة طبية .


منظر جانبي لمبنى جامعة الرياض .


نماذج من الأعضاء البشرية مصنوعة من البلاستيك والجير تستخدم في التدريس .

والالتهابات الخاصة والعامة ، والانحلال والفساد ، ودراسة الأورام ، وأمراض الجهاز الدموي ، والأوعية ، وأمراض القلب ، والجهاز البولي ، والمعدة ، والأمعاء ، والغدد ذات الافراز الداخلي ، والجلد والعضلات ، والغدد الليمفاوية ، والدم والطحال والأعصاب وغيرها من الأمراض .

• **قسم البكتيريولوجي والطفيليات :** ويدرس في السنة الثالثة ، ويشتمل على المواد الدراسية المتعلقة بالبكتيريا والفيروس ، والمناعة ، والأمراض التي تسببها الطفيليات وغيرها من المواضيع الطبية.

• **قسم أمراض النساء والولادة :** ويدرس هذا الفرع في السنة الرابعة حيث يتلقى الطلاب محاضرات ودروساً ومناقشات وجولات في أجنحة المستشفى .

• **قسم أمراض وجراحة العيون :** وتدرس هذه المادة في السنة الرابعة ، وهي تشمل محاضرات ودراسات سريرية في أحد المستشفيات التابعة لوزارة الصحة .

• **قسم صحة المجتمع :** وتقتصر مواد الدراسة فيه على توجيه الطالب في السنة الرابعة الى طب المجتمع ، ومدخل الى علم الأوبئة ، والأساليب ، والاستطلاع ، ومعدل الاصابات ، وعموم انتشار بعض مشاكل الصحة في المملكة ، وادارة الصحة العامة ، ويدخل ضمنها التخطيط والرعاية الطبية ثم طب البيئة والصناعة .

• **قسم الجراحة :** وفيه يدرس طلبة السنة الثالثة والرابعة والخامسة الجراحة . وفي نهاية السنة



كاتب السطور يتحدث الى سعادة الدكتور حمود البدر وكيل الجامعة .



أحد الاجتماعات التي يعقدها أعضاء هيئة الت

الخامسة يخضع الطلبة للامتحانات المطلوبة . هذا ، ويجري تدريس الجراحة في العيادات الخارجية والأجنحة وغرف العمليات حيث يُعطى الطالب محاضرات ودروساً عن أصول الجراحة بالاضافة الى جولات يقوم بها الطلبة في أجنحة المستشفيات .

◦ قسم الطب الداخلي : ويلتحق بهذا القسم طلاب السنة الثالثة والرابعة والخامسة حيث يخضعون للامتحانات في نهاية السنة الخامسة . كما يتلقى الطلاب في هذا القسم تدريباً عملياً في مستشفى الملك عبد العزيز بالاضافة الى المحاضرات والمناقشات .

هذا ويدرس طلبة الطب في السنة الرابعة أيضاً طب الأطفال لمدة ١٤٠ ساعة موزعة على محاضرات عامة ومحاضرات عن حديثي الولادة والطب السريري .

والى جانب الأقسام الآنفة الذكر ، هناك قسم الطب الشرعي ، وقسم الأنف والأذن والحنجرة.

## مشروع الحرم الجامعي الجديد

تقوم جامعة الرياض حالياً بتنفيذ مشروع ضخم يوصف بأنه أضخم مشروع من نوعه يجري تنفيذه دفعة واحدة في العالم . وهذا المشروع هو اقامة حرم جامعي يضم كافة الكليات التي تحتضنها الجامعة الأم ، بالاضافة الى الوحدات السكنية الخاصة بالهيئة التدريسية والطلاب والموظفين . وسيقام المشروع فوق بقعة مساحتها تسعة كيلومترات على طريق الدرعية ، وقد قام جلالة الملك خالد بن عبد العزيز بوضع حجر الأساس في مطلع شهر ربيع الأول من عام ١٣٩٦هـ . وبدىء العمل فيه وفقاً للمخطط المقرر له . وقد تم تنفيذ بعض مراحل المشروع . كما ينتظر انجاز المرحلة الأولى من مبنى كلية الطب والمستشفى الجامعي خلال هذا العام . وقد روعي في تصميم مباني الكليات أن تكون على نمط عصري يتمشى مع متطلبات البيئة المحلية.

وفي مقابلة أجراها كاتب السطور مع معالي الدكتور عبد العزيز الفدا ، مدير جامعة الرياض ، حول المشاريع المستقبلية للجامعة ، قال معاليه : « تنقسم المشاريع المستقبلية للجامعة الى قسمين ، أحدهما يتعلق بتطوير المرافق الحالية للجامعة ، بمعنى تطوير المختبرات



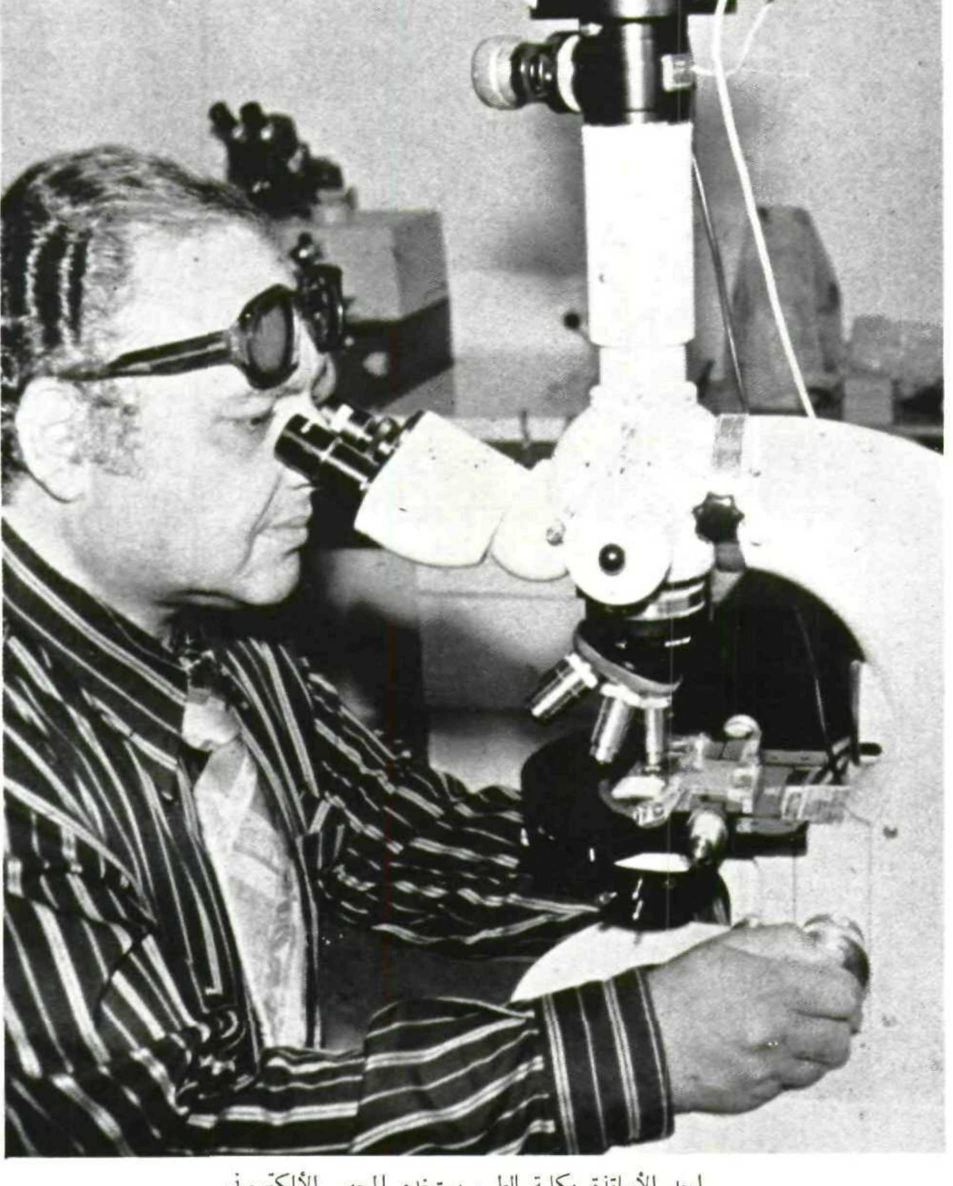
طلاب يفحصون عينات من الشرائح كجزء من دراستهم .



احد فصول ال



ـف تطوير البرامج الدراسية في كلية الطب .



احد الأساتذة بكلية الطب يستخدم المجهر الألكتروني .

وأصول الدراسة وأماكن الرعاية الرياضية والاجتماعية والثقافية للطلاب في مباني الجامعة الحالية ، ويسير ذلك وفق خطة تتبع زيادة عدد الطلاب في الكليات المختلفة ، كما تشمل أيضاً امكانات الجامعة فيما يتعلق بقبول الطالبات في التخصصات الجديدة التي فتحت للطالبات بصفتهن منتظمات مثل الدراسات الاجتماعية، والخدمات الاجتماعية، والتاريخ، واللغة الانجليزية ، وعلوم التمريض، وتوسعة الامكانات المتعلقة بقبول الطالبات في كلية الطب البشري .

أما القسم الثاني فهو مشروع الحرم الجامعي الذي بدأ البناء في جزء منه على طريق الدرعية . ويجري حالياً بناء كلية الطب والمستشفى الجامعي الجديد ، كما يجري العمل على اقامة جزء من



احدى الحقائب الطبية التي قدمت هدايا للاطباء الخريجين .

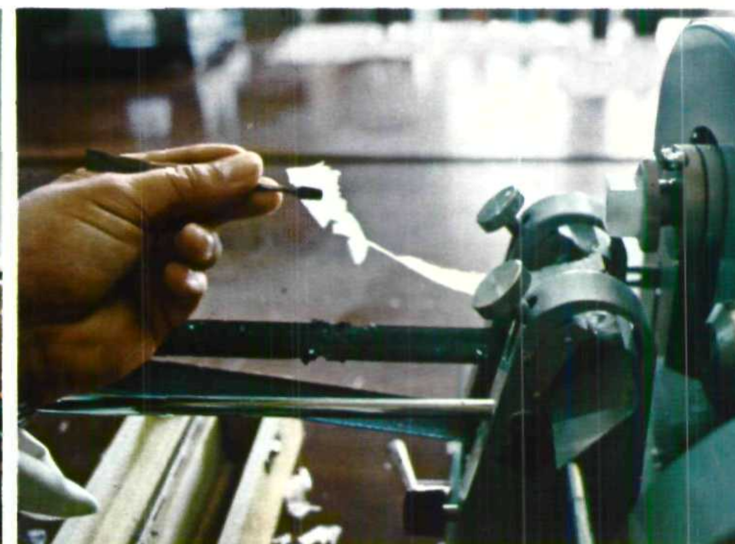


ـلية الطب .

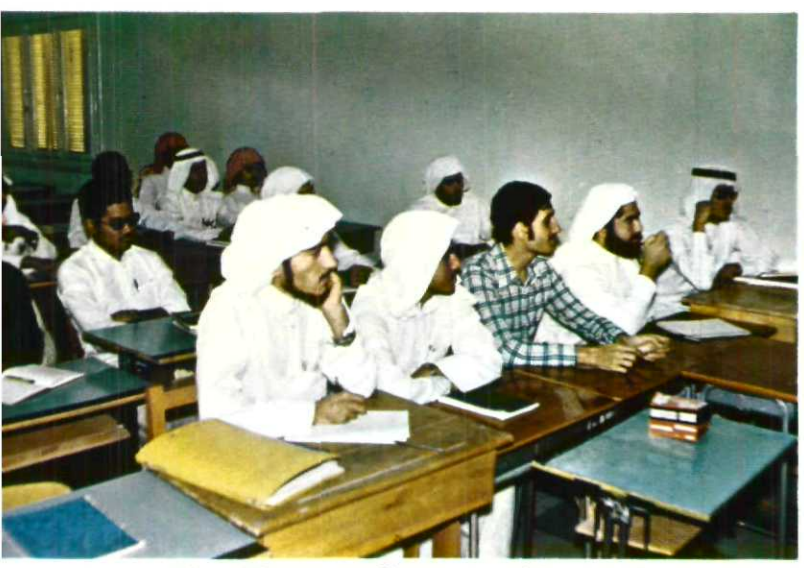


درس نظري في علم التشريح .

مجموعة من الطلبة يستمعون الى شرح في علم التشريح .

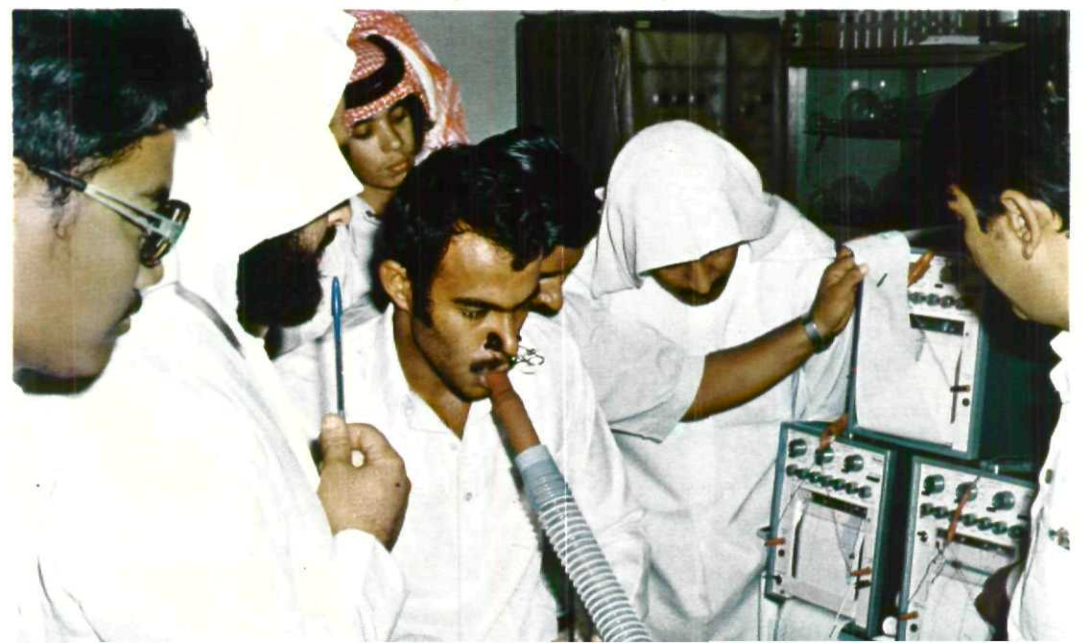


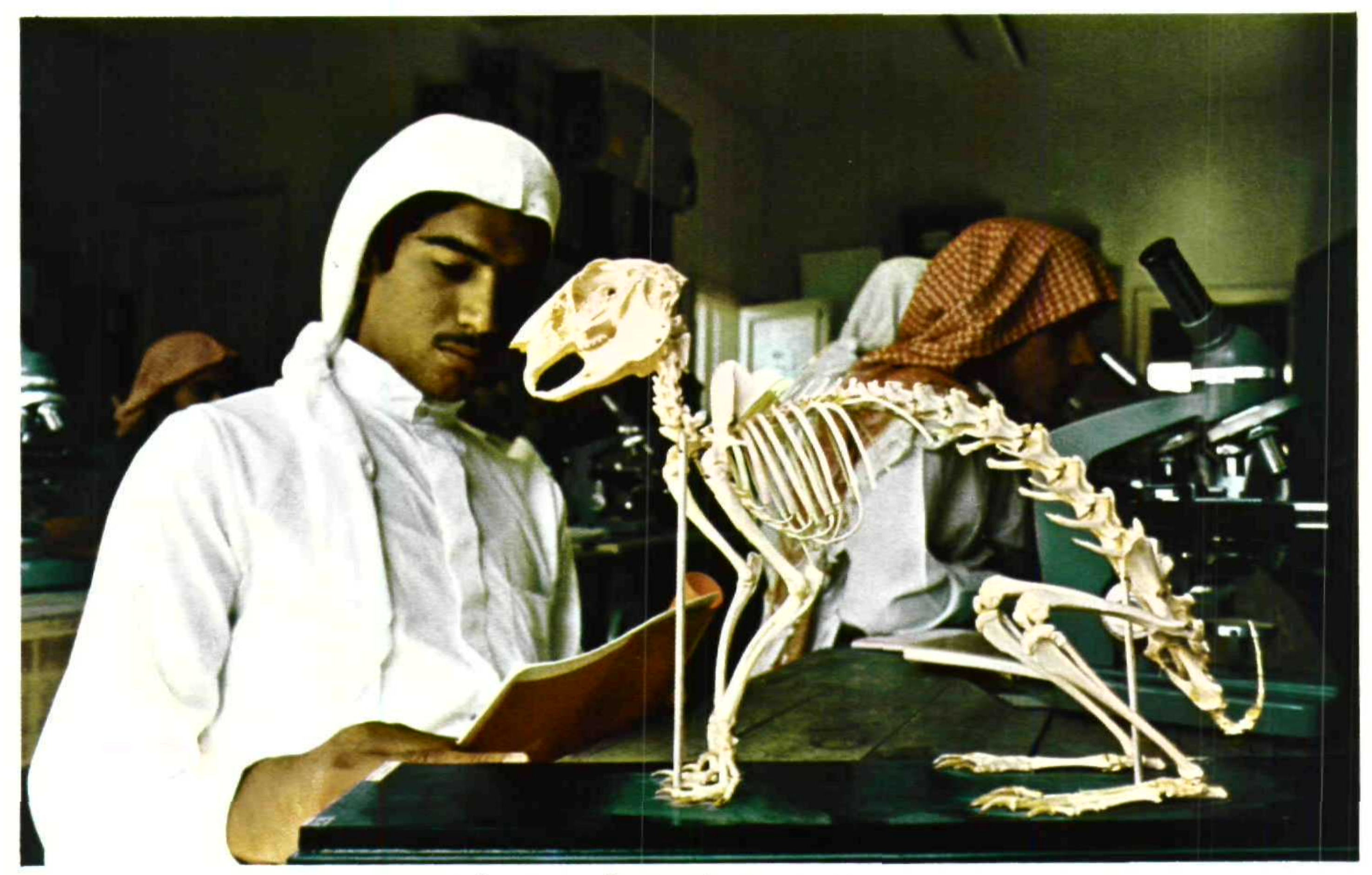
احدى عمليات تحضير الأنسجة التي تدرس في كلية الطب .



لفيف من الطلاب يستمعون الى شرح من الطبيب المدرس .

درس عن عمل الجهاز التنفسي والتفاعلات المختلفة التي تطرأ عليه في مختلف الحالات .





طالب يجري دراسة خاصة على هيكل عظمي لأحد الحيوانات في المختبر .

مساكن الجامعة ، وبناء مطبعة خاصة بالجامعة . وقد تم انجاز جزء من مباني كلية الطب ، وسيكون في مقدورنا أن نوقع في العام الحالي عقوداً لبناء بقية الكليات والمكتبة ومركز الوسائل التعليمية والمتحف والمسجد . هذا ويسير مشروع بناء الحرم الجامعي وفق المخطط الزمني المقرر له ، ويتوقع الانتهاء من اشادته ، ان شاء الله ، في مدة لا تزيد على خمس سنوات ، وسيضم عند الانتهاء من بنائه مختلف الكليات التابعة حالياً لجامعة الرياض ، وسيكون بامكاننا في ذلك الوقت احتضان خمسة عشر ألف طالب في الدراسات الجامعية ، وستة آلاف طالب للدراسات العليا في التخصصات المختلفة . أما عدد طلاب جامعة الرياض في الوقت الحاضر فيزيد على تسعة آلاف طالب من بينهم ألفا طالبة » .

وفي سؤال عن نشاطات كلية الطب والمستوى العلمي الذي وصلت اليه أجاب معاليه : « إن كلية الطب من الكليات الهامة في المملكة العربية السعودية وفي جامعة الرياض بالذات ، وهي كغيرها من الكليات ، تحظى بالرعاية والعناية اللازمتين . وقد حرصنا منذ البداية أن تبدأ الكلية من مستوى عالمي عال ، ولهذا كان من المفيد جداً أن نتعاون مع جهة لها خبرات طويلة ولها مستواها المعروف ، فكان ان اتفقنا مع مجموعة كليات الطب بجامعة لندن حتى تشرف هذه الأخيرة على المساعدة في انشاء كلية الطب ودراسة برامجها والاشتراك في امتحاناتها .

وعن تدريس الطالبات بكلية الطب أجاب معاليه : « إن تدريس الطالبات بجامعة الرياض يتم بصورة منفصلة تماماً عن الطلاب ، وتقوم بتدريسهن مدرسات مؤهلات ، وعندما يتعذر علينا أن نجد مدرسات مؤهلات نلجأ الى استخدام التلفاز ذي الحلقة المغلقة بالاضافة الى استخدام وسائل التدريس الأخرى كالفيديوتيب وغير ذلك من وسائل التعليم الحديثة . وبالنسبة لطالبات كلية الطب فنحن نعد لهن فصولاً ومختبرات منفصلة ، وهن يدرسن البرامج والمقررات الدراسية نفسها التي يدرسها طلاب الطب . ويتوقع أن يتخرج بعد ٣ سنوات حوالي ٤٠ طبيبة » .

وفي مقابلة أخرى مع سعادة الدكتور حمود البدر ، وكيل الجامعة ، قال سعادته : إن آمالنا بالنسبة لجامعة الرياض هي أن تتحول الى جامعة من الطراز الأول من الناحية العلمية ، وان تنهض فيها البحوث والدراسات العليا ، وأن تكون رائدة في منطقة الشرق الأوسط والعالم العربي .

واستطرد سعادته قائلا : ان جامعة الرياض كبقية الجامعات في المملكة عضو في اتحاد الجامعات العربية الذي هو بدوره عضو في الاتحاد العالمي للجامعات. وتشارك الجامعة ، بصفتها مؤسسة علمية ، في كثير من المؤتمرات العلمية والفكرية ، كما قامت بعقد عدد من المؤتمرات العلمية كان أولها مؤتمر رسالة الجامعة ثم تبعه عدة مؤتمرات أخرى كان من بينها مؤتمر علماء المسلمين في مجالات التكنولوجيا . والجامعة تعد حالياً الترتيبات لاستضافة العديد من المؤتمرات العلمية ●

**اعداد: يعقوب سلام - هيئة التحرير**

تصوير : شركة التصوير الوطنية و صفوان الجابري



# اللغة وفقهها

بقلم: الدكتور عمر الطيب الساسي

**أصبحت** اللغة بعلومها المختلفة من أهم فروع العلم الحيوية التي يهتم بها الباحثون في مختلف الميادين العلمية . ويزيد ما يربـــط بين اللغة وفقهها وعلومها المختلفة من جهة ، وبين كثير من العلوم الحيوية الأخرى من جهة ثانية ، ليس في مجال الدراسات الانسانية فحسب ، بل وفي مجالات أخرى كثيرة بعيدة عن ميادين الدراسات الأدبية ، مثل مجالات علوم الأحياء والتشريح ووظائف الأعضاء والطب العام ، وكثير مما يتصل بهذه العلوم وغيرها ، لأن اللغة في الحقيقة لا يمكن ان تنفصل بحال عن الانسان وفكره وروحه ووظائف اعضائه وحياته العامة . فحتى الصم البكم تربطهم بالحياة والأحياء لغة مكتوبة ، في الدين والدستور والنظم والقوانين والمعاملات العامة . . وغير ذلك مما تفرضه ظروف الحياة .

فاللغة اذاً ليست عملاً لسانياً محضاً ، بل هي في جميع صورها وأشكالها نتاج عمل عدة اجهزة عضوية في الانسان ، وهي تمثل بالتأكيد قمة التفكير الانساني ، علمياً كان او ادبياً ، او حتى ساذجاً بسيطاً .

من هنا دعت الحاجة الى وجوب تقنين اللغة ، والتأريخ لها ، من أجل معرفة الأطوار التي مرت بها في ادوار تاريخها المختلفة . والكشف عن الصلة التي تربط بين اللغة وعلومها من جهة ، وبين الانسان صاحب هذه اللغة واحواله النفسية الخاصة وظروفه الاجتماعية العامة من جهة أخرى . وذلك كله يدفع الى عقد مقارنات بين اللغات الانسانية المختلفة ، في كل او بعض صورها ومواضيعها في أدوار تاريخية ، وبطرق علمية مختلفة . والاطار الذي يجمع بين كل هذه الدراسات التي أشرنا اليها ، يعرف باسم « فقه اللغة » اي « Linguistik »

وليست الدراسات اللغـــوية في كثير من فروعها جديدة مستحدثة ، اذ يثبت التاريخ الحضـــاري للانسانية ان القدماء قد خلفـــوا





دراسات هامة كثيرة في معظم فروع فقه اللغة ، لعل من اشهرها ما خلفه العرب والمسلمون من مؤلفات ضخمة في عدة فروع من علم فقه اللغة ، كفرع المعاجم Lexikologie او فرع النحو — Grammatik أو فرع الصرف — Morphologie او في غيرها مما عرف وحقق ونشر من تراث عربي اسلامي ، او مما هو موجود ومتناثر في مكتبات كثيرة ومختلفة في العالم ، في مخطوطات سيكشف عنها الزمن بعد ان ترى النور بالتحقيق والنشر . كذلك اثبت التاريخ ان هنالك نشاطات وبحوثاً علمية كثيرة عرفت في مجالات فقه اللغة عند أمم قديمة أخرى ، غير الأمة العربية والاسلامية ، كاليونان واللاتين مثلاً .

أما العصر الحديث فقد شهد منذ القرن التاسع عشر الميلادي نشاطاً بارزاً ملحوظاً في مجال دراسات فقه اللغة . وكان طابع التأثر بموجة التفكير والبحث العلمي آنذاك ، هو الطابع المميز لدراسات فقه اللغة في العصر الحديث . ولعل أهم ما أذكى جذوة النشاط في مجال دراسات فقه اللغة في اوروبا في هذا العصر اكتشاف اللغة الهندية القديمة « السنسكريتية » التي اعتبرت اصلاً لمعظم اللغات الأوروبية المعروفة ، وعلى التحديد مجموعة اللغات المعروفة اليوم باسم « اللغات الهندو — جرمانية » . وقد ظهر في اوروبا في القرن التاسع عشر الميلادي اتجاهان علميان كانا على جانب كبير من الأهمية في تفسير الظواهر اللغوية ، وتنظيم دراسات فقه اللغة وتحديد مناهج البحث فيها . وكانت المانيا هي موطن الاتجاه الأول من ذينك الاتجاهين ، اذ يرجع الفضل في ظهوره الى جماعة من الباحثين الألمان كانوا يعرفون باسم « النحويين المحدثين — Die Neuen Grammatiker » ، وكان من اشهرهم « ليسكين — Leskien » و « بروجمان Brugmann » الذي أسس مجلة دورية متخصصة في بحوث اللغات الهندو — جرمانية ولا زالت تصدر في المانيا الى اليوم باسمها القديم «بحوث هندو — جرمانية — Indogermanische Forschungen » وقد اشترك مع كارل بروجمان في تأسيس تلك المجلة صديقه « ف . شترايت بيرج — W. Streitberg » كذلك كان من مشاهير جماعة « النحويين المحدثين » الألمان « اوستوف — Ostof » و « هرمان باول — Hermann Paul » ، ويتلخص رأي تلك الجماعة الالمانية في انها كانت تؤمن بأن الجبرية هي التي تحرك اللغة وكل الظواهر اللغوية . أي ان لا سيطرة للأفراد ولا لارادتهم أو أهوائهم على تطور اللغة ، وحدوث الظواهر اللغوية المختلفة ، ولكن تسيير تلك الظواهر في نشأتها وتطورها يتم وفق قوانين صارمة لا يستطيع الفرد تبديلها ناهيك عن ايقافها او تعريقها ، ورأت تلك الجماعة ، ان القوانين الجبرية التي تتحكم في الظواهر اللغوية لا تقل في صرامتها وحتميتها عن النواميس التي تخضع لها الظواهر الطبيعية الأخرى ، كظواهر الفلك — مثلاً . ولهذا فان واجب الباحث في فقه اللغة ، كما رأت تلك الجماعة ، يتمثل في حصر الظواهر اللغوية ثم تحليلها وتصنيفها بعد ملاحظتها بدقة علمية ، حتى يتمكن الباحث ، من خلال الملاحظة والحصر والتحليل والتصنيف ، من الكشف عن القوانين الجبرية التي تخضع لها الظواهر اللغوية في نشأتها وتطورها . وككل رأي علمي جديد ، أحدث رأي « النحويين المحدثين » الألمان هذا ضجة كبرى في الأوساط العلمية والثقافية المتخصصة ، وكان له صداه العالمي الواسع في هذه الأوساط . فقد وجد هذا الرأي معارضين ومؤيدين ، وكان من أبرز معارضيه علماء فقه اللغة في ايطاليا وعلى رأسهم « اسكولي — Ascoli » وكذلك علماء المدرسة الانجليزية في الدراسات اللغوية ، ومن كان يدور في فلكهم من غير الانجليز أمثال « سايس — Sayce » « وسويت — Sweet » والعالم الدانماركي « جيسبرسن — Jespersen » وكان هؤلاء متأثرين بالاتجاه الفرنسي الذي كان من ابرز علمائه العلامة « تارد — Tarde » الذي كان يتلخص رأيه في تفسير الظواهر اللغوية في ان جميع الظواهر الاجتماعية بلا استثناء ، واللغوية من بينها ، تنشأ أول ما تنشأ فردية ثم تصبح اجتماعية عامة بالتقليد والمحاكاة من قبل الاخرين ، بالتدريج .

أما الاتجاه الثاني الهام الذي سيطر على فكر علماء اللغة في اوروبا في القرن التاسع عشر الميلادي ، فيمكن اعتباره نتيجة للاتجاه الأول ، وهو يعنى بتنظيم الدراسات اللغوية على أساس من التخصص الذي يفرض تقسيم علوم اللغة الى فروع كثيرة ، يهتم كل فرع منها بظاهرة معينة من الظواهر اللغوية الكثيرة . وقد دفع هذا بطبيعة الحال الى حصر تلك الظواهر اللغوية تمهيداً لتقنينها ، وتقنين اصول البحث العلمي فيها ، وكان لهذا آثار ايجابية كثيرة ، لعل في مقدمتها تقريب الانسان لأول مرة من تفسير ومعرفة كل ظاهرة لغوية — مهما كانت معقدة — وقد أدى هذا بدوره الى توسيع نطاق علوم اللغة وتوضيح فقهها ، كما يسر سبل اجراء مقارنات سليمة بين اللغات الانسانية المختلفة وتوضيح اوجه الشبه بين بعضها ، مما سهل امر تصنيف اللغات الانسانية في مجموعات . مثل « المجموعة السامية ، بفروعها المختلفة » و « المجموعة السلافية » و « المجموعة الجرمانية » و « المجموعة الرومانية » و « المجموعة التترية » وغيرها من المجموعات اللغوية .

وستظل اللغة بعلومها وفقهها ميداناً هاماً من ميادين البحث العلمي التي تخدم الانسانية وتعمل على توسيع مداركه وآفاقه ●

د. عمر الطيب الساسي — جامعة الملك عبد العزيز

* المصطلحات العلمية المقابلة للعربية هنا مصطلحات ألمانية .

# قطع العملة القديمة شهود عيان للماضي

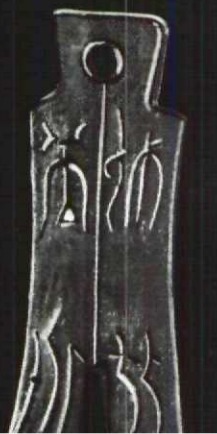
بقلم: الدكتور يوسف القاضي













نماذج تمثل قطعاً من النقود الأثرية الاغريقية والصينية

**عاصرت** النقود القديمة الانسان ورافقته عبر عصور تطوره منذ سنة ٢٧٠٠ قبل الميلاد . فكلما تقادمت العصور على تلك القطع النقدية ، وغشيها تراب الماضي كانت ذات قيمة تاريخية واجتماعية أكبر ، مع الأخذ بعين الاعتبار أشكالها ورسومها ونوع المعدن الذي عملت منه ، والذي يكون ، في حالات كثيرة ، من معدن ثمين يحتفظ بقيمته الاسمية والأثرية .

ويقدر العلماء عدد القطع النقدية الأثرية المختلفة من حيث الرسم والحجم والأشكال والمعدن الذي سبكت منه بحوالي ( ١٠٠٠٠٠ ) مائة ألف قطعة منذ سنة ٧٠٠ قبل الميلاد لغاية الآن . وهذا العدد يفتح أمام علماء جمع النقود الأثرية مجالاً واسعاً للبحث والتقصي ، فقد أصبح هذا العمل يعرف بعلم جمع النقود الأثرية .

ومن الجدير بالذكر أن السومريين يعدون من بين أوائل الأمم القديمة المعروفة الذين أوجدوا نظاماً معيناً لاستعمال النقود ، مبنياً على وزن معين معروف من الحجارة الكريمة او المعدن النفيس . هذا بالاضافة الى ما قدموه للعلم من كتابات تشمل الرموز ، وعلم الحساب الذي أبدعوا فيه . فقد استعملوا الفضة والذهب في نقودهم . ويرجع عدد من المتخصصين أن يكون السومريون هم أول من أوجد نظام العملة المغطاة بقيمتها من الفضة او الذهب فضلاً عن أشياء اخرى استعملوها في معاملاتهم التجارية مثل الأصداف ، والجواهر والحلقات المعدنية والأدوات .

أما الصينيون ، فقد استعملوا في معاملاتهم التجارية السكاكين والمعاول والمفاتيح الصغيرة ، وغيرها من الأدوات اليدوية .



قطعة نقد ألمانية قديمة تحمل رسم الامبراطور فرديناند.

وظل الأمر على تلك الحـال الى ان جاء الاغـريق واستبدلوا الوزنة من المعـدن التي كانت تستعمل في المبادلات التجارية



قطعة أخرى من العملة الألمانية القديمة التي يرجع عهدها الى أواخر القرن التاسع عشر .

بنوع من النقود استنبطوها وميزوها بعلامات تجارية معروفة . فقد كان التجار الاغريق والإيونيون في البداية يضعون علامات تجارية على وجه قطع من المعدن ، ثم لم يلبثوا أن طوروها وأخذوا يختمونها بخاتم خاص على الوجه الآخر بالعلامة المميزة لها . وقد عزا المؤرخ الاغريقي « هيرودوت » اختراع النقود للملك « كرويسوس — Croesus » ، ملك ليديا الذي أمر بسك نقود من الذهب والفضة الممزوجين طبيعياً وختمها بخاتم عليه صورة رأس الأسد ورأس الثور كرمز للقوة في ذلك الزمان . وتعتبر النقود الأثرية الاغريقية التي يرجع تاريخها الى عدة فترات زمنية ، تعتبر في الوقت الحاضر « نخبة » النميات . ( ذات علاقة بالعملة ودراستها وجمعها ) . والعبارات المكتوبة على النقود الاغريقية في الوقت الحاضر مثل « أوبل — Obol » و « دراخما — Drachme » يمكن ارجاعها لأصلها القديم .

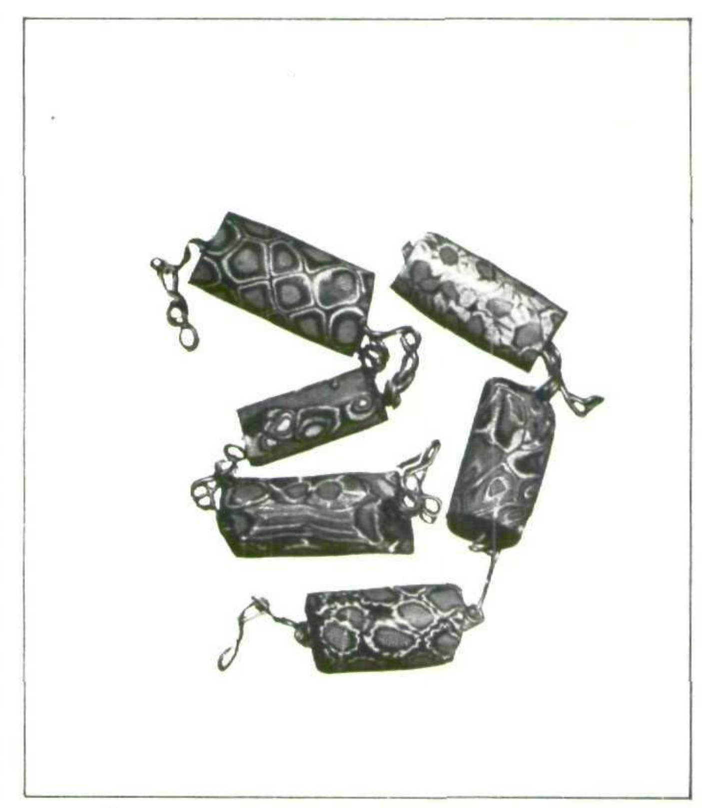
فالقاضي في مدينة أثينا ، كان يتقاضى أجره عندما يصدر حكماً في قضية ما ، على شكل عدد من القضبان المخصصة لشي اللحم والتي ترمز الى الكمية التي تخوله أخذها . ومع مرور الزمن وجدوا ان تلك القضبان يصعب تداولها في قضاء الحاجات العامة ، فطوروا نوعاً من العملة أصغر حجماً منها ، واستعملوه في مبادلاتهم التجارية .

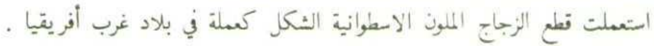
ان أول عملة رومانية ظهرت الى حيز الوجود يرجع عهدها الى حوالي سنة ( ٥٥٠ ق . م ) حيث كانت عبارة عن قطع صغيرة من البرونز تحمل رسماً لثور مجسم ، مما يوضح الارتباط بين المعنى اللاتيني لكلمة « Pecus » التي تعني ماشية ، وكلمة « Pecunia » التي





نماذج من العملة المعدنية التي كان الصينيون يستخدمونها في مبادلاتهم التجارية ، وكانت على شكل مفاتيح ومعاول ، وقد أثرت هذه العملة على مر الزمن ، على العملة الصينية الحديثة التي تعتبر القطعة النقدية « لاي » وحدتها .




استعملت قطع الزجاج الملون الاسطوانية الشكل كعملة في بلاد غرب أفريقيا .



قطعة من العملة الصينية القديمة وقد جعلت على شكل دائري يتوسطه ثقب مربع .

تعني «نقود». وهذا الاقتران بين الكلمتين والمعنيين يدلنا على أن كلمة نقود باللاتينية اشتقت من كلمة « Pecus » .

وبعد العملة البرونزية الرومانية ، ظهرت العملة الفضية التي كانت تصدر من قبل الأباطرة والقياصرة والتي كانت تحمل رسومهم عليها . أما عملة من هم دونهم ، مثل أعضاء مجلس الشيوخ فكانت من نوع العملة البرونزية أو العملات الرومانية القديمة الأخرى مثل« السسترس — Sesterces » ، حيث كان يظهر عليها الحروف الأولى من اسم عضو المجلس .

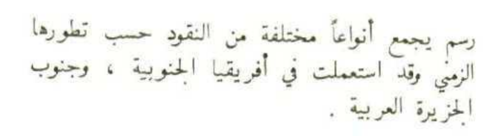
وبعد سقوط الامبراطورية الرومانية الغربية على يد التتر ،وهجرة أقوام كثيرة الى اوروبا ، هجر الناس هناك فن سك النقود واتجهوا الى المقايضة والمبادلات التجارية التي عمت أوروبا كلها . وظلت الحال كذلك الى أيام « بيبين — Pepin » و « شارلمان — Charlemagne » ، وهما من ملوك فرنسا المشهورين قديماً ، حيث وضعا أساساً لنظام العملة في العصور الوسطى . وفي هذه الحقبة كانت العملة الاسلامية قد بدأت بالظهور والانتشار في العالم الاسلامي ومن ثم في كثير من البلدان الأخرى التي تبادلت التجارة معهم .

وفي حوالي سنة ٨٠٠ ميلادية ، انتشرت العملة انتشاراً سريعاً ، فظهرت أعداد كثيرة منها يمكن تمييزها من حيث تاريخ الاصدار والبلد والشخص الذي أصدرها . وصار بامكان المتخصصين في جمع النقود القديمة ترتيبها حسب تسلسل تاريخ صدورها . وظلت الحال تسير في هذا المنوال حتى سنة ١٨٠٠ ميلادية حيث صارت عملية سك النقود حقاً يمارسه المشهورون من رجالات الدولة والكنيسة والمدن الحرة ( أي التي كانت تعتبر دولة مستقلة في شئونها ، مثل مدينة البندقية ، وجنوة . . . ) . وكان من أغلاها ثمناً المارك الاسكندنافي المستورد الى اوروبا . ثم ظهر خلال المدة الآنفة الذكر عملة تسمى « Groschen » في مدينة « براغ » في أواسط أوروبا ، وكان ذلك سنة ١٣٠٠ ميلادية ، كما أن العملة « Florentine » استعملت كنموذج للعملة الذهبية الألمانية الأولى . وبعدها ظهر الجنيه في مدينة « انسبروك — Insbruck » الذي أثر على كل العملات الاوربية منذ بداية القرن السادس عشر الميلادي عن طريق العملة الفضية الالمانية المسماة « طالير — Thaler » أو « Talor » ، والذي ظل رائجاً حتى بداية القرن التاسع عشر الميلادي . وفي أواخر القرن التاسع عشر أصدر « الرايخ الثاني » حوالي ( ٦٧ ) نوعاً من العملات تتداول داخل الامبراطورية الالمانية ، حتى باتت أساساً للعملة الألمانية الحديثة . وهكذا نجد أن النقود التذكارية التي صدرت من قبل جمهورية المانيا الاتحادية والنمسا بالاضافة الى النقود التي يرجع تاريخها الى جمهورية « ويمر — Weimar » والاباطرة الألمان ، هي من أكثر النقود المرغوبة لدى هواة جمع النقود التذكارية ، وأثمنها .

يتضح لنا مما تقدم أن علم جمع النقود الاثرية أصبح هواية يمارسها الكثيرون . وقد كتب فيه مؤلفات كثيرة يمكن الرجوع اليها للتعرف الى طريقة جمع النقود ومزاياها .







رسم يجمع أنواعاً مختلفة من النقود حسب تطورها الزمني وقد استعملت في أفريقيا الجنوبية ، وجنوب الجزيرة العربية .



الدينار العربي الخالص من أي تأثير أجنبي وقد ضرب في سنة سبع وسبعين وهو محفوظ بمتحف لندن .

الدينار العربي وفيه يبدو الأثر البيزنطي وقد نقش على الوجه صورة عبد الملك ، ورقم في مداره « بسم الله لا اله الا الله وحده محمد رسول الله » وعلى الخلف نقش عمود مرفوع على أربع درجات وفي مداره « بسم الله ضرب هذا الدينار سنة أربع وسبعين .



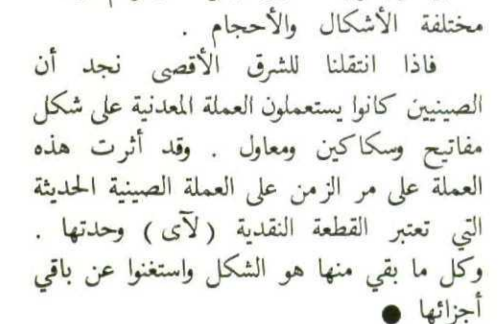












ولا عجب اذن ان نرى أن الاغريقيين يميلون للتحلي بالخرز وقطع الزجاج الملون إلى الآن. فهو يرمز الى الثروة والغنى عندهم . كما أن الكثير من نساء آسيا والشرق الأدنى يميلون للحلي الذهبية يلبسونها أساور وأقراطاً وخواتم وقلائد مختلفة الأشكال والأحجام .

فاذا انتقلنا للشرق الأقصى نجد أن الصينيين كانوا يستعملون العملة المعدنية على شكل مفاتيح وسكاكين ومعاول . وقد أثرت هذه العملة على مر الزمن على العملة الصينية الحديثة التي تعتبر القطعة النقدية ( لآى ) وحدتها . وكل ما بقي منها هو الشكل واستغنوا عن باقي أجزائها ●

**د. يوسف القاضي – الرياض**

«اللهُ الذي خلقكُم من ضعفٍ ثم جعلَ من بعدِ ضعفٍ قوّةً ۝ ثمّ جعلَ من بعدِ قوّةٍ ضعفاً وشيبةً ۝ يخلقُ ما يشاءُ وهوَ العليمُ القديرُ ۝»
صدق الله العظيم

# الشيخوخة

بقلم: الدكتور يونس شناعة

**أعمار** الناس آجال مكتوبة ، وبين لحظة الخلق ولحظة الموت رحلة تقصر او تطول تبعاً للظروف المحيطة بالانسان . فاذا سلم من الطوارىء الخارجية المعروفة تلقفته الغوائل الداخلية ، وهي الأمراض على اختلاف اسبابها وأسمائها ، ونحن نألف من الأمراض الأنواع المعدية الفتاكة ، كما نألف أمراض تصلب الشرايين عموماً ، وشرايين القلب والدماغ بشكل خاص . فاذا قيل فلان توفي بالجلطة القلبية او الدماغية او بحمى التيفوئيد ( الحمى المعوية ) مثلاً ، فهمنا الأمر ولم نستهجن ، وكذلك الحال بالنسبة لأمراض السرطانات عموماً .

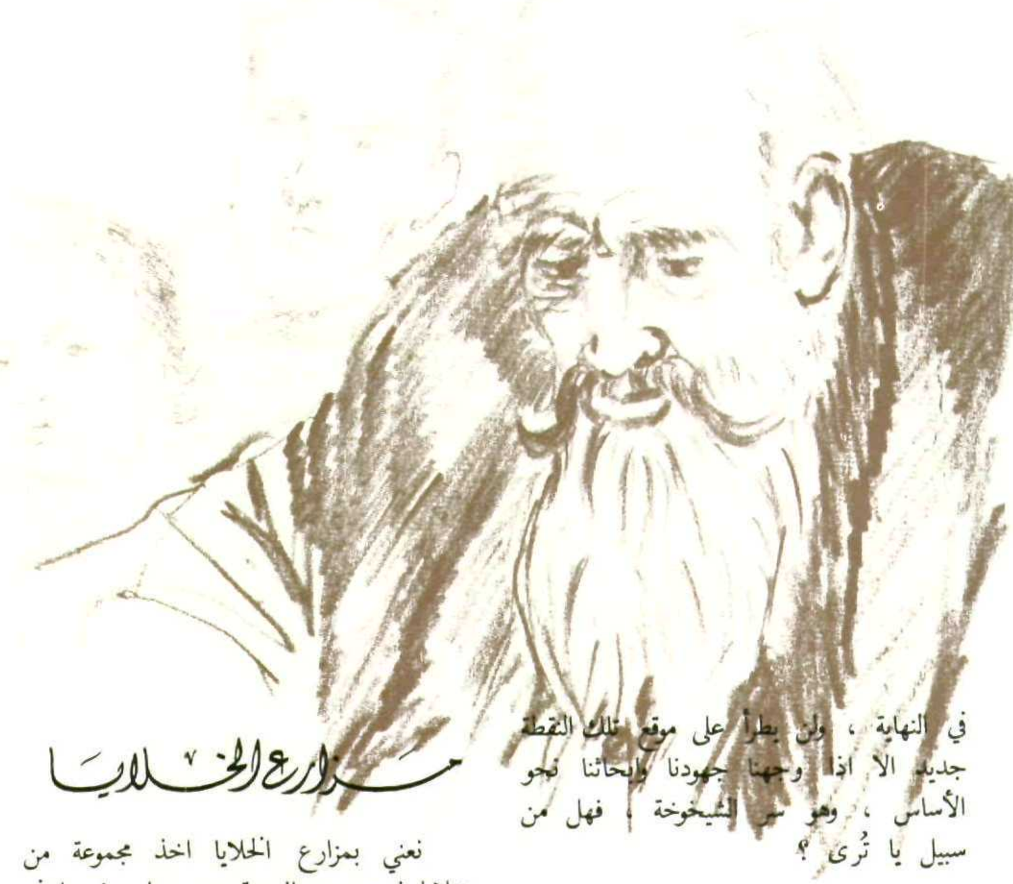
غير اننا نجهل ان عملية مرضية اخرى رافقتهم وترافقهم حتى اللحظة الأخيرة من الحياة تلك هي الشيخوخة . فهل سألنا أنفسنا يوماً او تساءلنا عن سرها ؟ لماذا ، لو قدر لنا ان نعمّر طويلاً ، يصيبنا الكبر فيضعف السمع والبصر ، وتخور القوى العضلية والذهنية ، وينحني الظهر وتتساقط الأسنان تباعاً ، ونلجأ الى العصا نتوكأ عليها ونحن نردد مع الشاعر الجاهلي :

**أليس ورائي ان تراخت منيتي**
**لزوم العصا تُحنى عليها الأصابع**

## أهمية البحث

من الاصطلاحات الدارجة في الطب والاجتماع ، اصطلاح « الحياة المتوقعة » ( أي كم سنة ينتظر أن يعيش فرد معين من الناس ) واصطلاح « فترة التعمير » ( وهي عدد السنين التي يعيشها نوع الانسان عادة ، بالمقارنة بغيره من الكائنات الحية ) ، ويمكن توضيح الفرق بين الاصطلاحين اذا قلنا ان عمر الانسان محدود بمئة سنة على وجه العموم ، بينما العمر المتوقع لطفل يولد في بلد ناهض مادياً ( كالسويد مثلاً ) هو سبعون سنة . فالرقم الأول يشير الى معدل عمر الانسان عموماً في شتى اصقاع الأرض ، أما الثاني فيشير الى ما يمكن ان ينتظر طفلاً ولد في بلد ناهض من عمر مديد ، فذلك يختلف عما نتوقعه لطفل ولد في الهند او الحبشة مثلاً ، حيث ظروف العيش اقسى وشروط الصحة الجيدة والوقاية والمعالجة من الأمراض غير متوفرة عموماً .

لم نخض في مفهوم هذين الاصطلاحين للاطالة ، ولا رغبة في التعقيد ، وإنما لحاجتنا اليهما في توضيح امر هام ، فالشعوب في العصر الحديث تتفاوت في مجالات النهضة الصحية بمقدار ما تطول فترة الحياة المتوقعة لأفرادها ، فالثابت احصائياً حتى الآن ان فترة تعمير الانسان — Life Span لم تتغير على وجه الأرض على تراخي العصور ، وباختلاف اصقاع الأرض ، وتباين انماط العيش فيها . وعلى الرغم من تركيز الباحثين والعلماء على ايجاد علاج للسرطانات عموماً ، والقضاء على امراض القلب وتصلب الشرايين ، لتحسين فترة الحياة المتوقعة — Life Expectancy نقول على الرغم من ذلك ، فانه لو فرضنا جدلاً انهم تمكنوا من القضاء على السرطانات عموماً فان ذلك سيزيد فترة الحياة المتوقعة للفرد الواحد حوالي سنتين فقط ، ولو فرضنا جدلاً أيضاً انهم تمكنوا من القضاء على امراض القلب وتصلب الشرايين فان ذلك سيزيد فترة الحياة المتوقعة سبع سنوات فقط ، أي اننا بقضائنا على كل هذه الآفات المرضية المستعصية حالياً لا نزيد فترة الحياة المنتظرة للفرد اكثر من تسع سنوات . والثابت من احصاءات السنوات الأخيرة أننا استطعنا زيادة فترة الحياة المتوقعة منذ لحظة الولادة حتى سن السبعين فقط ، وما بعد هذا السن لم يطرأ عليه أي تغيير . ولو مثلنا لتلك الظاهرة بالرسم البياني لقلنا ان منحنى فترة الحياة المتوقعة قد يتخذ شكل المستطيل كلما طالت الفترة ، ولكن المنحنيات كلها تلتقي في نقطة واحدة



في النهاية ، ولن يطرأ على موقع تلك النقطة جديد الا اذا وجهنا جهودنا وابحاثنا نحو الأساس ، وهو سر الشيخوخة ، فهل من سبيل يا تُرى ؟

## محـاولات

احجم جل العلماء والباحثين من الأطباء وعلماء الحياة ( البيولوجيين ) عن الخوض في هذه المتاهة يقينا منهم بأن الشيخوخة حتمية من حتميات الحياة ، وظاهرة لا تختلف في طبيعتها او غموضها واستحالة سبر اغوارها عن سر الحياة وسر الموت . الا ان قلة من الباحثين ، بحافز حب الاستطلاع والتفاني في ملاحقة المجهول ، او بحافز من حب المغامرة او الترف الفكري والعلمي ،لم يقنعوا بما قنع به الآخرون ، فعكفوا على هذه الظاهرة درساً وتجريباً . ونحن اذ نعرض للقارىء الكريم بعض هذه المحاولات والتفسيرات والنظريات ، انما نفعل ذلك رغبة في انصاف هؤلاء الباحثين ، واعطاء القاريء العربي صورة مصغرة عن صعوبة البحث ووعورة المسلك الذي اختاره هؤلاء الباحثون ، وفي الحالين ، ابراز الجانب الايجابي حيال ظاهرة من هذا النوع .

## مـزارع الخـلايـا

نعني بمزارع الخلايا اخذ مجموعة من خلايا نسيج من انسجة جسم ما ووضعها في وسط غذائي يحتوي على كل مقومات العيش والتكاثر لهذه الخلايا ، تحت درجة حرارة معينة ، وربما نسبة معينة من الغازات الضرورية للتنفس كالاوكسجين . ومزارع الخلايا ليست امراً حديث الاكتشاف ، فلقد أفاد منها علم الفيروسات في الخمسينات من هذا القرن ،فكانت مزارع الخلايا وسطاً جيداً يدرس من خلاله وجود الفيروس او عدم وجوده . ونوع الفيروس حسب ما يحدثه في الخلايا النامية في المزرعة من فساد او خلل . كما أفاد من هذه المزارع علم الوراثة والعاهات التكوينية ، وخاصة بزراعة خلايا الدم البيضاء في الوسط المناسب لتتكاثر فتدرس تفاصيل الجسيمات الملونة — Chromosomes التي تحمل الصفات الوراثية ، والخلية في حالة انقسام .

وفيما يتعلق بظاهرة الشيخوخة فقد جاءت اولى المحاولات التي استغلت مزارع الخلايا قبل أكثر من خمسين سنة عندما وجدت علاقة معكوسة بين سرعة نمو خلايا ليفية مستخلصة من جنين الصوص زرعت في دم متجلط ، وبين عمر الصوص الذي استعمل دمه في الزراعة . ثم اكتشف فيما بعد ان الفترة التي تسبق ظهور الخلايا الجديدة الصادرة عن الأنسجة المزروعة تزداد طولاً بازدياد عمر الكائن الحي الذي اخذ منه النسيج . وكان آخر هذه الملاحظات العلمية التي سبقت نهضة مزارع الخلايا وتطورها ما اعلنــه البحاثة اليكس كاريل — Alexis Carrel من ان الخلايا الليفية المأخودة من قلب صوص يمكن ان تتكاثر في الوسط الزراعي الى ما لا نهاية ! وهذا هو بيت القصيد في قضية الشيخوخة ، شيخوخة الخلية ، وبالتالي ، شيخوخة النسيج فالكائن الحي كله .

لقد أغرى اعلان العالم كاريل كثيراً من الباحثين بمزيد من البحث والتجريب ، ولكن سرعان ما خيبت النتائج آمالهم حين وجدوا ان صفة « الخلود » التي أضفاها « كاريل » على خلايا تجربته تنطبق على الخلايا غير الطبيعية كالخلايا السرطانية التي تملك تلقائية الانقسام المستمر . وبما ان الشيخوخة مرض الخلايا الطبيعية السليمة كان من الضروري التركيز على دراسة هذا النوع من الخلايا فقط .

ومنذ ما يزيد على عشر سنوات أجرى البروفيسور « ل . هايفلك — L. Hayflick »

من جامعة ستانفورد بولاية كاليفورنيا في الولايات المتحدة الأميركية ، عدة تجارب على خلايا بشرية وغير بشرية ، كلها طبيعية سليمة ، تبين له على اثرها ان قدرة هذه الخلايا على التكاثر في الوسط الزراعي محدود ، واعتبر ذلك دلالة على الشيخوخة الحتمية في الانسان . وتلا تلك الدراسة دراسات فنظريات خلاصتها ان للخلايا المزروعة فترة حياة محدودة تتناسب مع فترة حياة الكائن الحي الذي تنتمي اليه هذه الخلايا . هذا بالنسبة للخلايا القادرة على الانقسام فالتكاثر ، وينطبق القول نفسه على الخلايا الناضجة التي تخطت مرحلة الانقسام ، من حيث الفعاليات الحيوية اليومية التي تؤديها هذه الخلايا ، حيث تتضاءل هذه الفعاليات تدريجياً حتى تتلاشى مع نهاية عمر الكائن الحي الذي اخذت منه ، أو عند نقطة معينة في مرحلة الزراعة ، خارج الجسم الحي . ترى . . ما الذي يحدث لهذه الخلايا في مزارعها ؟ تبدأ الخلية او الخلايا بالانقسام اضعافاً مضاعفة ويكون انقسامها في الأوج في ستة الأشهر الأولى او السنة ، ثم تبدأ بالتباطؤ تدريجياً فلا تنقسم أكثر من مرة كل ٢٤ ساعة ، ثم تطول هذه المدة تدريجياً الى ان تختفي علامات الانقسام تماماً وتموت الخلية . وفي حالة استعمال خلايا جنين بشري فان هذه الخلايا تتكاثر على شكل متوالية هندسية تقارب الخمسين ضعفاً او مرحلة من حشود الخلايا خلال ستة أشهر ، ويلجأ العلماء الى توزيع هذه الحشود على عدة قوارير ( مزارع ) كلما تكاثر العدد كل اسبوع . واذا ما وصل الانقسام في المزرعة الى المرحلة الثامنة تقريباً تخلصوا من نصف الكمية التي في المزارع ، اذ لو ابقوا على كل الخلايا المتجمعة على مدى خمسين مرحلة لتجمع لديهم $٢^{٥٠}$ ( اثنان مرفوعة للقوة خمسين ) من الخلايا عدداً ، اي ما يقارب عشرين مليون طن ! !

ومن الطريف ذكره اننا لو جمدنا نشاط هذه الخلايا في أية مرحلة من مراحل تكاثرها ، بتخفيض حرارة الوسط الزراعي دون الصفر مثلاً ، ولأية مدة ممكنة ، ثم رفعنا درجة الحرارة ، لعادت هذه الخلايا الى سيرتها الأولى ، وأكملت ما كتب لها من مراحل ، كما لو كانت تتذكر المرحلة التي توقفت عندها لحظة التبريد !

## تأثير عمر الكائن الحي ونوعه على مراحل التكاثر

ألمعنا سابقاً الى تأثير عمر الكائن الحي حين أخذ منه النسيج للزراعة على عدد المراحل التي يتكاثر اليها ذلك النسيج . وللتفصيل نقول أن دراسات واسعة متأخرة ، على خلايا الانسان أثبتت صحة هذا الاستنتاج القديم بما لا يقبل الشك ، فبينا نجد خلايا الجنين تتكاثر الى ٤٠ — ٦٠ مرحلة ( جيلاً ) نرى خلايا أنسجة أخذت في سن البلوغ أو الشيخوخة لا تتكاثر الى أكثر من عشرين مرحلة . وعلى وجه التحديد فقد وجد بالتحليل الاحصائي أن عدد المراحل أو الأجيال هذه ينقص بنسبة عشري الجيل ( $\frac{٢}{١٠}$ ) لكل سنة من عمر الانسان . ذلك على مستوى الانسان نفسه في أعمار متفاوتة ، فهل يختلف الانسان عن غيره من الكائنات الحية بالنسبة لعدد المراحل ؟ وهل تختلف هذه الكائنات بعضها عن بعض بالصورة نفسها ؟ وهل من صلة قائمة بين عدد مراحل التكاثر فيها وبين فترة تعميرها عموماً كالانسان ؟ هاكم ما يلي :

تشيخ ذبابة الفواكه في أربعين يوماً ، ويشيخ الفأر في ثلاثة سنوات ، والصوص في ثلاثين عاماً ، والحصان في خمسين . والانسان في مئة ، وأنواع من السلاحف في مئة وخمسين عاماً . فهل تتناسب فترات تعمير هذه الحيوانات مع عدد مراحل تكاثر خلاياها في مزارع الأنسجة ؟ والجواب كما يبدو ، نعم . إذ أن هذه المراحل في الانسان تتراوح بين ٥٠ — ٦٠ ، وفي الفأر ١٤ — ٢٨ ، وفي الصوص ١٥ — ٣٥ وهكذا . . .

وهناك نوعان من أمراض الشيخوخة يصيبان الانسان في مرحلة الطفولة هما مرض بروجيريا — Progeria » و « مرض ورنر — Werner » تظهر معهما في الطفل كل ملامح الشيخوخة ومضاعفاتها ، على الرغم من حداثة السن ، بحيث تصبح أنسجته في سن طفولته شبيهة بأنسجة رجل في الخمسين مثلاً . ان خلايا الأنسجة في هذين المرضين لا تتكاثر في المزرعة الى أكثر من عشر مراحل ! ويعتبر هذان المرضان تجربتين جاءتا على الطبيعة للتمثيل على ما نحن بصدده .

ترى . . ماذا يجري لو زرعت خلايا أنسجة معينة في جسم كائن حي ، بدلاً من مزارع الخلايا ، أي على الطبيعة ؟ ان المعلومات المتوفرة من أربعة مختبرات قامت باستعمال أنسجة مختلفة أخذت من الثدي والجلد والدم ، لهذا الغرض تشير الى أن هذه الخلايا الطبيعية تعمر فترات محدودة تتناسب عكسياً مع عمر النسيج .

## نظريات

ان التجارب الآنفة الذكر تدلل على حقيقة الشيخوخة على مستوى الخلية بشكل علمي دقيق ، ولكنها لا تجيب عن التساؤل العريض :

**لماذا تشيخ خلايانا ، وبالتالي لماذا نشيخ ؟**

في القضايا الغامضة المعقدة تكثر النظريات التي تتصدى للتفسير ، دليلاً على عدم وجود تفسير نهائي يقنع به الجميع . ولما كانت قضية الشيخوخة لا تقل غموضاً عن غيرها من قضايا الحياة جاءت النظريات حيالها بالكثرة والغموض كما نتوقع . وهذه بعضها :

○ **اضطراب وظائف خلايا الجسم قبل فقدانها القدرة على الانقسام والتكاثر . وكيف يكون ذلك ؟** يزعم الاستاذ « ل. هايفلك » ان المورثات — Genes هي التي تقرر القدرتين معاً ، بحيث يتم الانقسام وتقوم الخلايا بوظائفها ضمن برنامج معين يختلف من نوع الى آخر من الكائنات الحية ، وتتوقف العمليتان عند استنفاد آخر مادة في البرنامج .

○ **الأحماض النووية — Nucleic Acids**

وهي جزئيات كيماوية في نواة الخلية تتكون منها بروتينات عامة مثل الخمائر ، وخاصة هي المورثات وتتخذ هذه الأخيرة مواقعها على الجسيمات الملونة التي تتخذ شكلاً اهليجياً ( تحت المجهر ) يتكون في دقائقه من سلاسل من الأحماض الامينيه — Amino Acids ، ويميز الخلية عن غيرها ونوع الكائن الحي عن غيره ، كيفية تسلسل هذه الأحماض . وعلى نشاط

البروتينات العامة ومنها الخمائر ، ونشاط المورثات يتوقف نشاط الخلية عموماً ، وظيفة وانقساماً .

هذا موجز مبسط جداً لما يوجد ويدور في داخل الخلية ، وخاصة نواتها من فعاليات حيوية على مستوى الجزيء الكيماوي. فما الذي يحصل لهذه الجزئيات حتى تشيخ الخلية ؟ النظريات والتصورات في هذا المضمار كثيرة ، وكلها تلتقي عند فرضية واحدة هي ان خللا ما يحصل لهذه الأحماض في داخل النواة يعطلها عن القيام بأدوارها « نظرية فون هان —Von Hahn » ، او ان خطأً يتلوه خطأ يقع في تفريغ وتوزيع المعلومات التي تقوم بها هذه الأحماض داخل الخلية فيفقدها القدرة على انتاج الخمائر اللازمة لنشاط حيوي تقوم به الخلية عادة « وهذه نظرية اورجل — Orgel » ، او اضطراب في تركيب هذه الأحماض او ضياع جزء من المعلومات المخزونة في الخلية عبر العمليات الحيوية مع الزمن وعدم استبدالها بجديد « نظرية مدفيديف — Medvedev » وهكذا . . ومن التجارب المخبرية التي حاولت دعم بعض هذه النظريات والتصورات ما أجراه العالم « ر . هوليداي —R. Holiday » واتباعه على ذبابة الفواكه حيث جعلوا يرقتها تتغذى بأحماض معينة قريبة الشبه بالأحماض الأمينية اللازمة ، فقصروا بذلك عمر الذبابة البالغة ، ومثل ذلك فعلوا في نوع من الفطر — Fungus فاكتشفوا نتائج مماثلة .

• **نظرية التفاعلات الجذرية الحرة :** في الكيمياء جزئيات كيماوية تسمى « الجذريات الحرة — Free Radicals » وهي تتميز بسرعة التفاعلات الكيماوية في الجسم أو خارجه بفضل توفر الكترون — Electron طليق على سطح الجزء . فاذا توفر عنصر الأكسجين انطلقت التفاعلات حتى تصل مداها ، وينتج عن هذه التفاعلات مواد كيماوية جديدة غير قابلة للاستعادة . وفي جسم الانسان تتم هذه التفاعلات اذا توفرت المادة العضوية كالأحماض الدهنية وتوفر الأكسجين والعامل المساعد في التفاعل كالنحاس أو الحديد أو المنغنيز . وكل هذه متوفرة في الجسم . ومعروف أن الأحماض الدهنية « غير المشبعة — Unsaturated » هي أكثر المواد العضوية في الجسم استعداداً لمثل هذه التفاعلات ، كما أن البروتين الموجود في حليب البقر مثلاً وهو « الكازايين— Casein » أكثر استعداداً للتفاعل من البروتين المستخلص من فول الصويا ، وهكذا .

أما آثار هذه التفاعلات الدائرة في الجسم على المدى الطويل فيعتقد أنها موجودة في بعض السرطانات وتصلب الشرايين وارتفاع الضغط ، وكلها من مظاهر الشيخوخة . وانطلاقاً من هذه النظرية اقترح بعض العلماء تعاطي كمية معينة من فيتامين هـ « E » مع كمية قليلة من الدهنيات ذات الأحماض الدهنية المشبعة ، بالنسبة الى الدهنيات ذات الأحماض غير المشبعة ، بقصد اطالة العمر .

• **نظرية المناعة :** في الجسم نوعان من الخلايا وهما : الخلايا الجنسية ، وهي التي تقوم بوصل أجيال الكائن الحي بعضها ببعض بفعل التناسل ، والخلايا الجسدية ، وتشكل بقية خلايا الجسم ، والفارق المميز بين النوعين علاوة على التناسل هو اختفاء ظاهرة الشيخوخة في الخلايا الجنسية .

وتقوم نظرية المناعة على افتراض حدوث خلل أو اضطراب— Mutation » في التركيب الكيماوي لجزئيات الخلية ، في النواة بشكل خاص ، وقد يصاحب هذا الاضطراب اختلاف في تركيب بعض المواد البروتينية ، وهذا يعني ظهور خلايا جديدة بسبب ظهور بروتينات جديدة فيها ، وبالتالي تصبح هذه الخلايا غريبة على عرف الجسم ، فيتصدى لها بانتاج مواد مضادة تسري في الدم وتتوزع في شتى أنحاء الجسم . ومن أسباب هذا الاضطراب الآنف الذكر الفيروسات والمواد الكيماوية اذا دخلت الجسم ، ومنها الاضطراب التلقائي الذي يحدث مع مرور الزمن على خلايا الجسم الواحد ، ربما بفعل الأشعة الكونية أحياناً . فاذا جاءت كمية الاضطراب قليلة كان في مقدور الجسم معادلتها فتتلاشى ، وذلك بفعل « الاستكشاف المناعي — Immune Surveillance » في كل جسم . أما اذا كانت كمية الخلايا الجديدة كبيرة ، فقد يعجز الجسم عن معادلتها فتنشط الخلايا التي سلمت من التعادل وبالتالي تتحول الى خلايا سرطانية . . والعلاقة بين السرطانات والاضطرابات التي تحدثها الفيروسات عموماً والمواد الكيماوية الصابغة ، علاقة معروفة . وكذلك العلاقة بين بعض التغيرات السرطانية في الجلد وأشعة الشمس ، كما أن العلاقة بين كل ذلك وتقدم السن معروفة أيضاً ، فمع الشيخوخة تضمر الأجهزة التي تزود الجسم بالقدرة على الرصد أو الاستكشاف المناعي كالغدة « التوتية — Thymus » مثلاً . هذا بالنسبة لنشأة بعض السرطانات ، أما كيف تسبب الاضطرابات المذكورة الشيخوخة في الخلية فالجسم عموماً ، فالتفسيرات لا تبعد كثيراً عما أوردنا من نظريات .

**وبعد** فلقد قالوا أن أنسجة الجسم تهرم بسبب نقص الغذاء التي تتزود به من الشرايين ، ونقص الغذاء آت من تصلب الشرايين فتضيقها ، وظاهرة التصلب تبدأ مع سن المراهقة ، ومنذ لحظة الولادة عند البعض الآخر ، فان تصلبت شرايين القلب ضعفت مضخة الحياة ، وان تجلطت تعطلت فكان الموت . وشرايين الدماغ ان تصلبت اختلت الحركة والتفكير ، واضطرب الوعي وشلت الذاكرة ، أو نزفت الشرايين ان كان مع التصلب ضغط دم مرتفع . ومع كل هذه الاجابات يبقى السؤال قائماً وعلامته تزداد ضخامة مع كل فقرة من هذه التعليلات : ما سر تصلب هذه الشرايين إذن ؟

قال بعضهم : الشيخوخة ظاهرة حتمية لفسح المجال لاستمرار الجنس البشري ، قالها علماء باحثون ولكنها عبارة تخلو من التعليل العلمي الذي يدّعون ، ولكنهم لا يعترفون .

وصفوة القول ان الانسان لو عرف سر الحياة لعرف سر الموت ، وما الشيخوخة إلاّ ارهاصات للأخير ، وسر الحياة سر الأسرار ، وهو الروح الذي ينبث في الجسم فيعطيه كل مظاهر الحياة ومقوماتها . « **ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربي ، وما أوتيتم من العلم إلا قليلا** » ●

**د. يونس شناعة — عمان**

# عيش وملح

## قصة قصيرة

بقلم: الاستاذ حسن حسن سليمان

الضيوف في بيتهم كثيرون ، لا يكاد يخلو منهم يوم واحد ، فأبوه عمدة القرية ، ومن أكبر أغنيائها ، ومعارفه وأصدقاؤه من المدينة والقرى المجاورة عديدون ، وهم يحرصون على زيارته وبخاصة أبناء المدينة منهم ، ليتلذذوا بما يقدمه لهم من الاكلات القروية الشهية وعلى رأسها طبق « المسخّن بالطابون » الذي تتفنن زوجته في صنعه واتقانه .

ومن بين اولئك جميعاً لفت نظره الحاج توفيق ، عمدة القرية المجاورة . فقد كان دائم التردد عليهم ولم يكن يدع موسماً يمر عنده من مواسم الحصاد او القطاف دون ان يتحفهم بهدية سخية من محصوله الوفير ، فهو أيضاً من كبار الملاك في قريته واحد اثريائها . ولم يكونوا بدورهم يدعون مناسبة تمر دون زيارتهم له فيغمرهم بفيض من كرمه ويحيطهم بشتى مظاهر الحفاوة .

وكان « مروان » يسرّ كثيراً بمرافقة والده في زيارته للحاج توفيق ، لما كان يجده هناك من مظاهر الاكرام ، فقد كان موضع الاهتمام والرعاية دائماً ، كيف لا وهو الابن العزيز للصديق العزيز .

وكانت الأيام تمر فتزداد معها صلات الود والصداقة بين أبيه والحاج توفيق وكان يشعر بكثير من الارتياح لهذه العلاقة التي ما فتئت تتوطد يوماً بعد يوم ، فكانت زيارته للحاج توفيق من المناسبات السعيدة التي يترقبها بلهفة وينتظرها بشوق ويحرص على القيام بها .

وما كان يصعب على مروان ان يتبين سر هذا الارتياح النفسي . « فحسنية » ابنة الحاج توفيق فتاة رشيقة رقيقة رائعة الحسن فاتنة الجمال يترقرق ماء الصبا في محياها فيزيدها فتنة ونضارة ، وكان كلما أمعن النظر في وجهها اكتشف سراً جديداً من أسرار فتنتها وجاذبيتها فيزداد تعلقاً بها وشغفاً بجمالها ، حتى غدت شغله الشاغل ، وملكت عليه قلبه وعقله ومشاعره ، يتمثل صورتها في كل شيء جميل ، ويسمع صوتها في كل لحن عذب ، ولو اطلع ذووه على حقيقة أمره لخافوا عليه الجنون وخشوا عليه من العلة .

ولم يكن أبوه لتخفى عليه حقيقة ما يعانيه ابنه من لواعج الشوق وتباريح الهيام ، فللشيوخ المجربين في ابنائهم نظرة قلما تخيب . فكان في المدة الأخيرة يتعمد الاكثار من تردده على الحاج توفيق مصطحباً ابنه معه في كل مرة كأنما يعدّ لأمر ما في نفسه يخطط له ويترقب الفرص المواتية للافصاح عنه وتحقيقه .

ولما استوثق من احكام خطته واستيقن من نجاحها استدعى اليه ابنه وبادره قائلاً وامارات الجد بادية على وجهه : اسمع يا مروان ! لقد عشت هذا العمر الطويل أكد بلا ملل وأعمل بلا كلل من أجلك حتى استطعت أن أوفر لك كل ما يكفل لك الحياة الرغيدة الهانئة ، واستطعت ان ابني لك مركزاً مرموقاً في قريتك تحظى فيه بكل الاحترام والتقدير ويحسدك عليه الكثيرون ، وأنا بذلك سعيد غاية السعادة ، راض كل الرضا ، وانما يكمل سعادتي ان ارى لك عروساً شابة جميلة ذات حسب ونسب تحوطك بحبها ورعايتها وتهيىء لك كل أسباب الهناء ، وأرى لك اولاداً يملأون البيت بهجة وحبوراً لأحس بأنني قد أديت رسالتي نحوك على خير ما يؤديها والد نحو ولده الذي يعزه ويعتز به .

صمت ابو مروان برهة ، يلتقط انفاسه ، وراح يحدق في وجه مروان ليرى في قسماته اثر حديثه ، واسعده ان يرى وجهه يتهلل بشراً وفرحاً ، فشجعه ذلك على المضي في الاعلان له عن بقية مفاجأته السعيدة فقال : لقد كان يملأني زهواً أن أراك تكتمل شباباً ورجولة ، وكان ما يشغل بالي ان اجد لك الفتاة التي تضارعك حسباً ونسباً لتكون جديرة بك . وان « حسنية » بنت الحاج توفيق خير من تتوفر فيها هذه الصفات . الحسب والنسب والجاه . فانني حزمت امري وتوكلت على الله وعزمت على خطبتها لك . ويسعدني ان اراها الى جانبك تنعمان معاً بالسعادة والهناء . فماذا تقول ؟ !

لم يصدق « مروان » ما يسمع ، كاد يطير من الفرح ، الجمته المفاجأة وعقدت لسانه فاندفع الى والده يعانقه بحرارة وسيل من دموع الفرح ينهمر من عينيه .

جرى التمهيد الضروري الذي يسبق اعلان الخطبة عادة في سرعة متناهية ، فلم تجد مهمة ابي مروان عند الحاج توفيق أية صعوبة او عقبات نظراً لمكانته عنده وصادق محبته في قلبه . وفي يوم مشهود ضم أعيان القريتين ووجهائهما وجمعاً غفيراً من الضيوف والأصدقاء كان اعلان الخطوبة المباركة فكانت مناسبة رائعة ظلت القريتان تتحدثان عنها أياماً عدة . وبدا أبو مروان وكأنه قد حقق حلماً جميلاً ظل يلح عليه ويراود خياله سنوات . وبعد ان انصرف المدعوون اقيم حفل عائلي خاص قدم مروان خلاله الى عروسه « الشبكة » وفي نهاية الحفل جرى الاتفاق على ان يتم عقد القران خلال اسبوع ليكون الزواج في الأسبوع الذي يليه .

كل شيء معدّ لعقد القران : المأذون قد حضر ، والشهود وبعض المدعوين والاقارب قد اكتمل جمعهم ، وقبيل انعقاد مجلس العقد تناول « ابو مروان » الأوراق الرسمية الخاصة بالعروس والتي تقدم في مثل هذه الحالة ، ودفعه الفضول وحب الاستطلاع الى تفحصها فوقفت عيناه على شهادة ميلادها وكانت المفاجأة المذهلة . أحس بالأرض تميد به ، زاغ بصره فلم يصدق ما تراه عيناه ، شعر وكأن قوة غريبة تشد على خناقه وتحبس انفاسه ، ليت الأرض تنشق وتبتلعه . « حسنية » اذن ليست ابنة الحاج توفيق ، وانما هي ابنة أخيه « أسعد » الذي



راح يتمثله بقامته القصيرة النحيفة ووجهه المصفرّ المتجعد وظهره المحدودب وهيئته الرثة البالية المرقعة فلم يحتمل مجرد فكرة ان يكون هذا الرجل – ساعي البريد في القرية – صهراً له ، فما لمثل هذا أجهد نفسه ومنّاها وترك بنات قريته . وراح عرقه يتصبب من وجهه ماذا يفعل ؟ ! ليس أمامه متسع من الوقت للتفكير ، يجب أن يتصرف بسرعة ليخرج من هذا المأزق دون ان يريق ماء وجهه ويجرح كرامة صديقه ويخسر صداقته .

نهض ابو مروان من مكانه ، وطلب من الحاج توفيق ان يحادثه على انفراد ، فخلا به في حجرة مجاورة . التقط ابو مروان انفاسه وقال لـــه بلهجة تنم عن الاستنكار : كيف لم تقل لي يا اخي ان « حسنية » ليست ابنتك ؟ ! لم أكن اعرف قبل الآن انها ابنة اخيك أسعد ! دهش الحاج توفيق كمن تلقى صفعة على وجهه او ضربة على أم رأسه . فقد ادرك ما يرمي اليه ابو مروان . فقال له بلهجة لا تخلو من حدّة ودماؤه تغلي في عروقه : « ما سألتني عنها في يوم من الأيام وما حسبتك نجهل انها ليست ابنتي ، ولم اقصد اخفاء امرها عنك والا لما احضرت لك شهادة ميلادها .

فقال ابو مروان : لم أشك مطلقاً في أنها ابنتك ، فأخذ الحاج توفيق يوضح له المسألة بصبر نافد فقال : ان « حسنية » ابنة أخي ، وهي كابنتي تماماً ، فقد ربيتها في داري منذ صغرها ، وانت تعلم ان اخي أسعد فقير الحال معتل الجسم ، ولما لم يكن لي اولاد فقد طلبت منه ان يأذن لي بتربيتها في داري اتولى شئونها

وأقوم على رعايتها . فتؤنس وحدتنا وتساعد امرأة عمها في عمل المنزل ، ومع الأيام تعلقنا بها وازددنا محبة لها . فهي ذكية وعاقلة ونشيطة . لقد أصبحت كابنتنا تماماً لا نستطيع الاستغناء عنها ، لقد نمت وترعرعت بعد ان انفقنا عليها عن سعة وأغدقنا بلا حساب ، ويحسبها كل من زارنا انها ابنتي فهي لم تفارق دارنا منذ دخلتها . صمت قليلاً وتابع كلامه قائلاً : ان حسنية بنت أسعد وليست بنت العمدة الحاج توفيق ويمكنك ان تعدل عن زواج ابنك منها ، ولا ضير عليك في ذلك ، وهذا لا يعيبها ، ويسعدني ان تبقى الى جانبي ، وهي بعد ما زالت صغيرة ولا خوف عليها ان يفوتها قطار الزواج والأيام كفيلة بأن يأتي لها بمن يعرف قدرها ويقدر مزاياها .

قال ابو مروان : انا لا أنكر مما تقول شيئاً ، ولكني أخشى ان يقول أهل قريتي اذا عرفوا الحقيقة : أما كان في بناتنا من نغنيه عنها ؟ ! فأجابه الحاج توفيق محتداً : بوسعك ان ترجع الى بنات قريتك ولا ضير عليك كما قلت لك فقال ابو مروان : «الرأي عندي أن يظل أهل قريتنا على اعتقادهم ان «حسنية» هي ابنتك فعلاً» . فأجابه الحاج توفيق : وما شأني بهم وباعتقادهم ، ان هذا لا يهمني في شيء وبوسعك ان تنسحب كما قلت لك . فقال ابو مروان : لم اقصد ذلك ، واطلب اليك بحق صداقتنا وبحق العيش والملح الذي بيننا ان توافقني على رأيي . فقال الحاج توفيق : اتراكم اذا عرف الناس الحقيقة فيما بعد تطلقونها ؟! لا..هذا لا يكون . فقال ابو مروان : «استحلفك بالله ان توافق وأعاهدك على ان تكون حسنية في بيتي في الحفظ والصون ، وأنا أخوك ، ألا تثق بي ؟ !

## الطرد

الحاج توفيق برهة يفكر : انه شيخ طاعن في السن بوده لو يستطيع الاطمئنان الى مستقبل «حسنية» قبل ان يوافيه جله ، انه يتمنى ان يراها سعيدة مع زوج يحبها ويسعدها ، ومروان خير من يفعل ذلك ، أليس هو ابن صديقه الحميم . فهل يعقل ان يخون العشرة ويتنكر للعيش والملح الذي بينهم . ان هذا كاف ليجعله يطمئن اليه ، فليوافق اذن حتى لا يضيع على حسنية فرصة السعادة ، وماذا لو اعتبرها الناس ابنته ، فهي كابنته حقيقة. تم عقد القران ، وزفت حسنية الى مروان في حفل بهيج يتناسب مع مكانة الأسرتين ، وودعها عمها وقلبه يتأرجح بين فرحه لسعادتها وخوفه عليها مما تأتي به الأيام في المستقبل .

لم تكد تستقر في بيتها الجديد حتى أفهموها منذ البداية أن أباها لا ينبغي له أن يحضر لزيارتها فزيارة عمها لها على أنه أبوها تكفي ، أما اذا اشتاقت لأبيها وأمها واخوتها فبوسعها أن تزورهم متى شاءت ولكن بمفردها دون زوجها ، وفيما عدا ذلك فهي سيدة بيتها ولها عليهم أن يبذلوا لها ما يمكن من الحب والرعاية وأن يعملوا على تحقيق رغباتها وتلبية طلباتها .

أحست بقلبها يتفطر ، فلم تكن تعلم قبل الآن ان الأمر كذلك . كانت صدمة لها فوق كل احتمال ، ماذا بوسعها أن تفعل ؟! أتعود لساعتها الى بيت أبيها ، وماذا يقول الناس عنها عندئذ وماذا يتأولون . ليس أمامها إلاّ الاستسلام لواقعها حتى «يقضي الله أمراً كان مفعولاً» كان فراقها لبيت عمها آخر عهدها بالسعادة والاستقرار وأول عهدها بالعذاب والشقاء . أحست بأنها قد فقدت كل شيء ، آمالها تحطمت في لحظة واحدة وأحلامها الوردية تلاشت كأنها سراب ، الدنيا أظلمت في عينيها فلا ترى فيها سوى سواد في سواد . حتى زوجها لم تعد ترى فيه سوى وحش كاسر يفترس شبابها وجمالها على الرغم مما يحيطها به من ألوان النعيم وأسباب الهناء . كانت بالنسبة اليه ينبوعاً من الجمال والشباب المتدفق ، كانت وردة فواحة تملأ حياته بالعبير والشذى وهو يحرص عليها حتى لا تذبل ولا تذوي فاذا ذوت لم يتردد في أن يلقي بها بعيداً . كم كانت تحبه قبل أن يفصح لها عن دخيلة نفسه ويكشف لها عن حقيقة مشاعره نحو أبيها . كان بالنسبة لها قبل ذلك كل شيء ثم عافت لأجله بعد ذلك كل شيء . لقد أثخن قلبها بجراح لا تندمل أبداً بعد أن حطم كبرياءها وأذلها بالحطّ من شأنها وشأن أبيها .

مضى على زواجها عام كامل ، لم تزر خلاله أهلها ولم تطأ فيه قدماها أرض قريتها ، فقد أبت عليها نفسها الكبيرة أن تزور أهلها بمفردها وكأنها ارتكبت اثماً أو أتت عاراً ، ولم يجد زوجها في كل مالها من مزايا ما يجعله يحطم ما بينها وبينه من حواجز واهية ، ولم يستطع أن يحرر محبته لها من تلك القيود البالية التي فرضها بنفسه على نفسه وقيد بها حياته فحالت دون أن ينطلق مع زوجته في الأجواء الحالمة بل ظلت تشده الى الأعماق المظلمة لينحدر الى الهاوية يوماً بعد يوم دون أن يدري . واذا المسافة التي تفصل بينهما تتسع ، واذا روابط المحبة والألفة التي كانت تشدهما تتقطع شيئاً فشيئاً حتى تلاشت أو كادت .

وفي يوم فوجئت بزوجها يدخل عليها ويطلب منها أن ترتدي ملابسها على عجل ليصحبها الى أهلها ، أذهلتها المفاجأة ، فلم يسبق له منذ تزوجها أن يطلب مرافقتها الى أهلها ، لا بد أن يكون في الأمر سر ثم لم تلبث أن علمت بأن عمها قد مات ، وانهم ذاهبون لتشييع جنازته وتقديم واجبات التعزية .

كانت فجيعتها بموت عمها كبيرة جداً ، فهو ملاذها وسندها ، ولكن غيظها كان أكبر من فجيعتها . لقد ملأ نفسها غيظاً ان لا يفكر زوجها وأبوه في اصطحابها الى أهلها الا في هذه المناسبة المشئومة ، كان هذا جرحاً عميقاً أضيف الى جراحها التي ما فتئت تنزّ دماً ولم تندمل بعد ، لقد صممت على أن تثأر لكرامتها المهدورة ، فأسرعت في نفسها أمراً الى حين .

انتهت مراسيم الدفن ، وعاد زوجها بعد أن تركها عند أهلها حتى تنقضي أيام العزاء ، فكانت فرصة أتيح لها فيها أن تفكر في أمرها على مهل ، قلبت الأمر على وجوهه فلم تجد ما يبرر استمرارها في حياتها الزوجية مع زوج يرى في انتساب زوجته الى أب فقير الحال مريض الجسم عاراً لا يستطيع احتماله ونقيصة لا يمكنه التجاوز عنها ، ولم تجد بدأ من الانفصال عنه ما دام متمسكاً برأيه في أنها وردة نبتت في غير منبتها وانها لذلك أقل منه حسباً ونسباً .

## وزاد

من نقمتها عليه أن أرسل اليها لتعود ، دون أن يرى لها عليه حقاً يكلف نفسه من أجله مئونة الحضور اليها لاصطحابها ، طفح بها الكيل ، وكانت «القشة التي قصمت ظهر البعير» فانهارت مقاومتها وأعلنت رفضها أن تعود ، وذهبت الى أبعد من ذلك فطالبت بالانفصال عنه .

وفشلت كل جهود الوساطة ومحاولات الاصلاح والتوفيق ، فتم الطلاق بعد أن تنازلت عن كل حقوقها المترتبة على ذلك ثمناً لاستنقاذها كرامتها التي طالما امتهنت ، ورداً لاعتبارها ●

حسن حسن سليمان – عرعر

# القلبُ الضّائِع

عجبٌ لقلبي كيف يحملُ همّه ... ويطيقُ حملَ متاعبي وشجُوني !؟
ويظلّ يرنو للجمالِ ونبضُه ... هيهات يسمعُ إذ ترفّ جفوني!
عاهدتُه ألاّ نميل الى الهوى ... ووفيتُ عهدي ليته راعَى يميني
قد خانني ، ويلٌ له من ظالم ... يا ويحَ نفسي إذ يخونُ وتيني

راجعتُه حتى يثوبَ لرشْده ... فأبى وقال بعزةٍ : هذي شؤوني
ان كنت تخشى في هواكَ ملامةً ... فالدربُ دونك فاتخذْ عيشاً بدوني
اني امرؤ هذي حياتي كلّها ... الحبّ شأني والغرامُ قريني
والعهدُ ديْنٌ ، انما أنا معسرٌ ... فامهلْ زميلَك برهة أو بعضَ حين

وعجبتُ من قولٍ يخالفُ واقعاً ... فأنا بدون القلب محضُ ظنون
كيف المضيّ بدونه وهو الذي ... سرّي على هذي الدّنى ويقيني

خاصمتُه وتركتُ درباً ساره ... ورجعتُ أدراجي الى بيتٍ حزين
وجلستُ مغموماً وصدْريَ ضيقٌ ... والفكرُ ساهٍ والرؤى تُدْمي عيوني
والقلبُ في تيهِ الصبابةِ غارقٌ ... غِرّ يجولُ بلجّةِ الليلِ الخئون

لهفي عليه أضعتُه في مهمهٍ ... صعبٍ يلفّ التائهين بلا معين
تبكي عليه مَدامعي وجوارحي ... يدعوه في جَوْفِ الدّجى : شوْقي حنيني
من ذا يردّ القلبَ لي وله الجَزا ... ودّ تزيّنَ بالوفا عبرَ السنين

ابراهيم احمد الشنطي

# المدن

## ظاهرة حضارية بين الماضي والحاضر

للاستاذ : الراحل خليل هنداوي

من الكهوف المظلمة الى البيوت التي تلفحها الشمس ، ومن الخيام المتناثرة الى المنازل المتلاصقة ، ومن القرية الى المدينة .

وأهم ما تتميز به روح المدينة ، هذا النظام المتمثل في تنسيق شوارعها ، وميادينها ، وأحيائها ، وجمال مشاهدها ، وعماراتها ، وآثارها الفنية التاريخية ، وحدائقها المبثوثة هنا وهناك .

وهي ، كأثر فني بمجموعه ، لا تمثل قطعة واحدة ، من نسيج واحد . ولم يقم ببنائها انسان واحد . فكل ذرية توارثتها على حالة تتلاءم مع حاجات عصرها ، لذلك جربت أن تطور فيها ، وتبدل فيها ، تبعاً لأذواقها .

ان بعض اجزاء من مدينة ما ، تهرم سريعاً ، فبعض المنازل القديمة الذاتية لا يدوم أكثر من عصر أو عصرين . وهي في حاجة الى مثل الزلزال الذي طمر مدينة « بومباي » ليمكن ان يقوم على انقاضها مدينة جديدة بشوارعها وبيوتها وعمائرها .

وغالباً ما نجد الأبنية التي صممها المهندسون والفنانون المشهورون في عصرهم هي التي تبقى تتحدى تقلبات العصور عليها . فالهياكل الفخمة ، والأبواب المنحوتة ، والانشاءات العامة كالأقنية ، والطرق المفضية الى المدن ، تترك عادة آثاراً باقية .

على ان تعاقب الأحداث التاريخية ، تحبط – في كثير من الأحيان – الأمل بديمومة الآثار ذات المعالم البارزة . وبعد عهد من عهود الازدهار تفقد المدن منزلتها وفعاليتها .

والاضطرار الى شق الطرق التجارية في الأمصار ، والتوسع فيها ، وعدم الاستقرار الذي أحدثه الغزاة الناهبون ، كل ذلك قضى على أسباب الثروة . وبذلك تردم الكثير من المدن ، وتشوه الكثير من معالمها البارزة ، على أيدي البرابرة ، كما شاهدنا في مدن الامبراطورية الرومانية .

ولم يكن حظ المدن الآسيوية ليختلف عن حظ تلك المدن ، فمدينة بابل طويت من الوجود ومدينة نينوى طمرت ، والمستعمرات الرومانية لم يبق منها الا أطلال دارسة ، وتدمر ذابت حياتها على مهل وغابت في جوف الصحراء . وليس مصير بغداد العباسية ، حاضرة الدولة العربية بأحسن حظاً حين داهمها المغول ، وهدموا معالمها الحضارية وشوهوا آثارها البديعة .

وبعض انقاض هذه المدن قد شوهته يد الانسان ، الذي يجهل ما تجني يداه . وبعضها استغله الانسان ، واتخذه مقالع حجرية ، فبنى من حجارتها الأثرية المنازل والقرى .

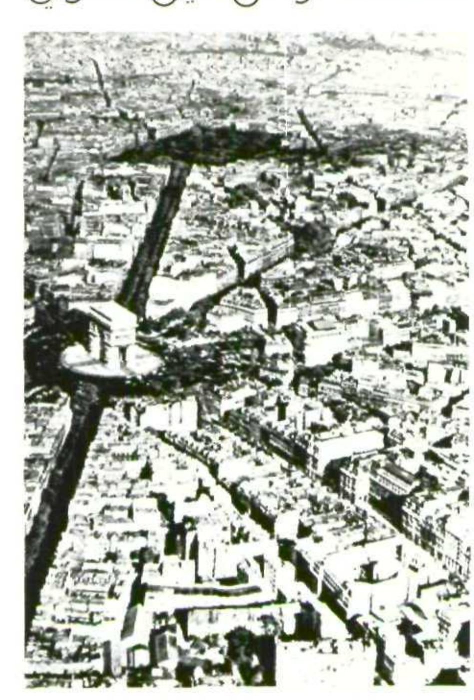
وهذا الشاعر « ابو يعلي » ينكر على اهل عصره هذه الظاهرة ، فيقول وقد سمع انين احجار الآثار تحت المعاول . :

**منازل قـــوم حدثتنا حديثهـم**
**ولم أر احلـى مـن حديث المنازل**
**أتتلفهـا ؟ شلت يمينك ! خلـّهـا**
**لمعتبر ، أو زائـــر ، او مسائل**

## العرب والمدن

لقد كان للعرب اليد الطولى في تخطيط المدن وبنائها ، حيث نزلوا وحيث استقروا ، وان في ما تركوه من عمارة يدل على براعتهم الهندسية ، ناهيك ما ابدوا من مهارة في فن الزخرفة ، والخطوط الباهرة النافرة .

ومن المدن التي أنشأوها في العراق « الكوفة » و « البصرة » كمركزين حربيين يطلان على دولة الفرس ثم كان لهما شأنهما في الثقافة الاسلامية ، ومنهما خرج شعراء كبار ومحدثون



مدينة باريس وتتوسطها ساحة النجمة .



مدينة جدة عروس البحر الأحمر

وفقهاء وعلماء ، ونحويون تمثل اجتهادهم في اللغة والنحو ، تبعاً للمدرسة البصرية ، والمدرسة الكوفية .

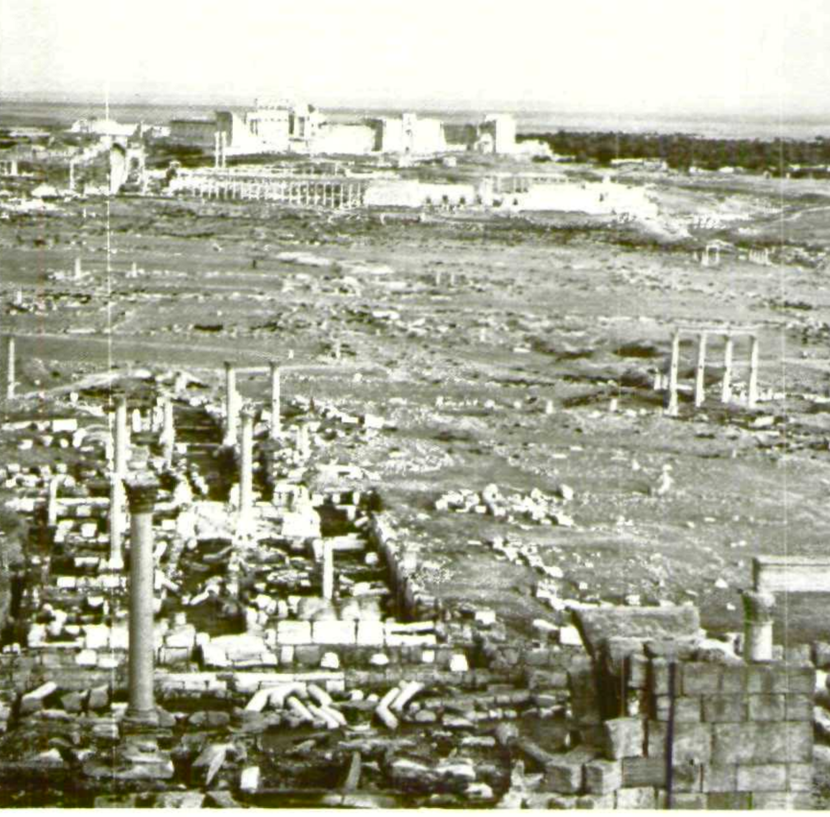
وفي عهد ابي جعفر المنصور العباسي ، رأى المنصور ان هذه المملكة التي ترامت اطرافها في العالم تحتاج الى حاضرة جديدة رحيبة ، تليق بوجه هذا الملك . فاختار لهذه الحاضرة التي سماها « مدينة السلام » ، موضعاً يقع وسط اراض خصبة يرويها ماء دجلة والجداول التي تستمد ماءها من الفرات ، بحيث تسهل فيه المواصلات بين أجزاء الدولة . ولم يكن هذا الموضع موضع بغداد الآن .

« وقد روعي في اختيار موضعها — ما ذكره ابن خلدون — في اوضاع الحواضر « اذ يشترط في اختيار موضع المدينة ان تقع اما على هضبة وعرة من الجبل ، واما باستدارة بحر او نهر بها ، حتى لا يوصل اليها الا بعد العبور العسير . كما يراعى فيها طيب الهواء ، وانتشار الزرع حولها .

على ان العرب لم يراعوا هذه الشروط في اختيار مواقع بعض المدن التي أسسوها كالكوفة والبصرة ، والقيروان ، ولذلك سارع اليها الخراب ، بعد ان استنفدت الغاية العسكرية منها .

وأول ما بني في بغداد القصر المعروف « بقصر الذهب » والجامع ، وهما مركز الدائرة ، ودار الحرس ثم قصور الأمراء ورجال الدولة ، ودواوين الحكومة ، وجعل حولها دوراً للأهالي تتخللها الأسواق ، وخط للمدينة اربعة شوارع رئيسية متقاطعة ، تتفرع منها شوارع أخرى . كما أمر المنصور بأن يبنى للمدينة سوران ، سور داخلي وآخر خارجي يحف به خندق عميق تغمره المياه . وللمدينة اربعة ابواب : باب الكوفة وباب البصرة ، وباب خراسان ، وباب الشام .

مدينة مانهاتن في الولايات المتحدة الامريكية



بقايا اثرية لمدينة تدمر في بادية الشام



آثار مدينة جرش في الأردن

نموذج مجسم لمدينة روما في العهد الامبراطوري



ميدان التحرير في مدينة القاهرة بمصر

ولما فكر المنصور في استعمال انقاض « المدائن » حاضرة الفرس القديمة ، في تعمير بغداد ، وباشر بهدم إيوان كسرى ، نهاه وزيره « خالد بن برمك » عن ذلك ، اما صيانة للآثار القديمة ، واما حفاظاً على نزعته الفارسية .

وما هي الا اعوام معدودة حتى أصبحت بغداد في العصر العباسي الأول « ام المدائن » ومركز التجارة العالمية ومنارة العلوم والآداب ، ومعين الثروة والرخاء وهي — كما قال الجاحظ فيها — « كأنما صبت في قالب ، وكأنما افرغت افراغاً .

## مدينة سامراء

ولما استخلف المعتصم استوحش من بغداد التي أصبحت خليطاً من العرب والأعاجم ، فأمر ببناء « سامراء »حاضرة خلافته الجديدة ، على مسيرة ثلاثة أيام من بغداد ، وجعلها خاصة بأهله ، وخاصة لجنده وحرسه . وقد احتفظت هذه المدينة بروائها وبهائها حتى نهاية الخليفة « المعتضد » ثم سارع اليها الخراب .

وقد وصف « ياقوت الحموي » أطلالها كما شاهدها : « وسائر ذلك خراب يستوحش الناظر اليها ، بعد ان لم يكن في الأرض كلها أحسن منها ، ولا أجمل ، ولا أعظم ، ولا آنس ، ولا أوسع ملكاً منها » .

وفيها يقول ابن المعتز :

**قد اقفرت « سرّ من را »**
**وما لشيء دوام**
**فالنقض يحمل منها**
**كأنها آجام**
**ماتت كما مات فيل**
**تسلّ منه العظام**

## القاهرة

وفي اقليم مصر ، فكر جوهر الصقلي — بعد أن تم له فتح مصر — في تأسيس مدينة حديثة للفاطميين ، فوضع أساس مدينة القاهرة سنة ٣٥٨هـ . ويشبه موقفه موقف أبي جعفر المنصور حين خطط « بغداد » اذ بدأ ببناء قصر للامارة وشيد حوله السور . ولما اختط المدينة جعل لها عدة أبواب متوازية . وكانت حجارتها من اللبن . وبعد أن تولى الوزارة « بدر الجمالي » أعاد بناء جدرانها والأبواب من الحجر .

ووضع جوهر الصقلي أساس الجامع الأزهر سنة ٣٥٩هـ . والمقصورة المعدة للصلاة تحتوي على ستة وسبعين عموداً من الرخام الأبيض اللون ، تنتظم في صفوف متوازية ، واليوم يبلغ مجموع الأعمدة ، بعد توسيعها ، ٣٧٥ عموداً .
كما زينت الجدران بالآيات القرآنية الكريمة المنقوشة بالخط الكوفي الجميل ، وفي هذا المصلى خمس مآذن ، يرتفع منها الآذان في وقت واحد . وقد تحول هذا الجامع الكبير اليوم الى جامعة تدرس فيها العلوم الدينية ، الى جانب العلوم العصرية . وتعد القاهرة أكبر مدينة عربية من حيث تعداد السكان .

## مدينة الزهراء

وفي ربوع الأندلس ، شيد عبد الرحمن الناصر ، مدينة الزهراء ، وذكر صاحب « نفح الطيب » أن الناصر ماتت له سرية ، وتركت مالاً كثيراً ، فأمر بأن يفك بذلك المال أسرى العرب عند الافرنج فطلب عندهم أسيراً واحداً ، فلم يجد ، فشكر الله على ذلك .

قالت له جاريته « الزهراء » وكان يحبها حباً شديداً .

— اشتهيت لو بنيت لي مدينة تسميها باسمي .

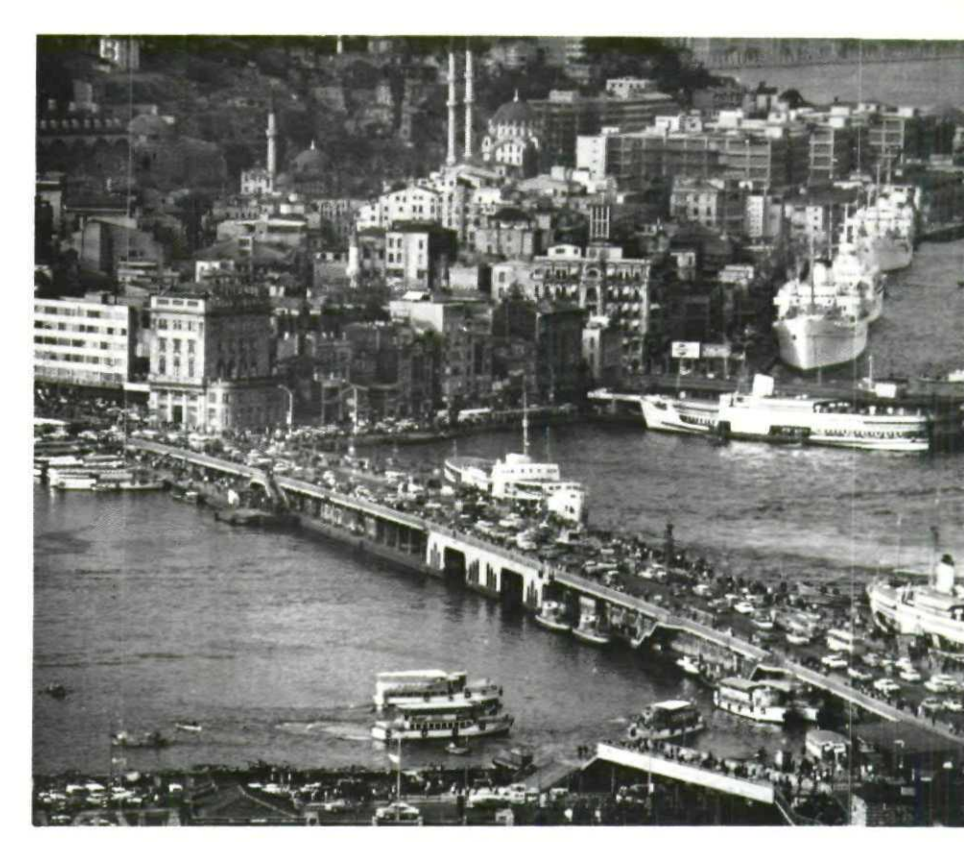
فلبّى رغبتها وبناها . . .

وضع أساسها سنة ٣٢٥هـ . واختار حجارتها من الرخام الملون ، استعمل فيها كل يوم ستة آلاف من الصخر المنحوت المعدّل ، وأقام بها أربعة آلاف سارية وقد وصفها الادريسي بقوله :

« وهي في ذاتها مدينة عظيمة ، مدرّجة البنية ، مدينة فوق مدينة ، تتألف من ثلاثة أجزاء : الأول للقصور ، والأوسط للرياحين والبساتين ، والثالث للديار والجامع ، وفي هذا الجزء قصر الناصر ومسجد الزهراء الذي يعتبر من روائع الفن الاسلامي .

مدينة القدس ويبدو فيها المسجد الاقصى .

مدينة فاس في المغرب العربي .



مدينة اسطنبول في تركيا .

وفي سنة ٣٩٩هـ هدم الخليفة محمد بن هشام « مدينة الزهراء » واتخذ « قرطبة حاضرة الخلافة فكان بذلك كالتي نقضت غزلها من بعد قوة . وما عرف التاريخ مدينة بقصر عمرها كالزهراء .

## المدينة الحديثة

ونادرة هي المدن التي عاشت في عزلتها ، سالمة من عبث الانسان . ومن المدن المتردمة المزخرفة بأجمل روائع الماضي . ينعكس مشهد مفجع لمأساتها . وحجارتها الفاتنة التي تحمل رمز الفخار للاعمال الانسانية .

ولكن . ليس جفاف الثروة وحده يهدد حياة المدينة . فان نموها المطرد قد يشوهها أكثر مما يشوهها الخراب والدمار .

كما ان تكاثر السكان فرض بناء الضواحي . خارج جدران المدينة المعروفة . فالشوارع اصبحت ضيقة . والزحام يحتاج الى شق طرق جديدة فيها . وتهديم المواضع الأثرية التي تعترضها . ومراعاة النمو الذي يضغط على المدينة . بحيث يتسنى للأبنية الحديثة حظ البقاء .

لقاء هذه المنجزات الرائعة والمتنوعة للعصور القديمة . ماذا يستطيع العصر الحديث ان يقدمه؟

في بعض الساعات تغص هذه الطرق الملتوية بوسائل العبور . وبعد اكتشاف الخطوط الحديدية . وبصورة خاصة . بعد اكتشاف السيارة . نجد ان امور التخطيط قد توسعت على نظام غير النظام السابق .

المدينة أصبحت جهازاً أكثر تعقيداً من ذي قبل . وغالباً ما اتخذت حجماً ضخماً في هذا العهد . وعند العالم الاجتماعي . تتمثل المدينة هيكلاً حياً . يتميز بحياة خاصة . انها شيء آخر . أكبر قيمة من الأكواخ الضيقة التي التي سبق للانسان ان بناها .

وهذا الكائن الحي بات اليوم يملك اجهزة مختلفة تكمل الوظائف المختلفة للحياة العامة .

هنالك فروق محسوسة جداً . بين مدينة قديمة . وبين مدينة حديثة كلندن او نيويورك .

ويبدو هذا الفرق جلياً . اذا امعنا النظر في جهاز التوزيع العجيب . والنظام الغريب حيث نرى في المدينة الحديثة . مسايل الماء وانابيب الغاز . وخطوط الهاتف والكهرباء . ومجاري المياه . تشق طريقها بصعوبة . وفق نظام دقيق .

وهنالك . مسائل لم يفكر فيها الأقدمون . ظهرت لمخططي المدن الحديثة منها : مسائل العبور . ومواقف السيارات . وتأمين المياه التي غدت من اشق الأمور في المدن بالنسبة الى الصحة العامة . وحاجات الانسان . والمجال الصناعي . ومشكلة الهواء الذي يتنشقه سكان المدن .

ان المدن المستحدثة . في حمأة نموها . تتجدد بسرعة فائقة . وأبنيتها ليس لها حظ في البقاء أكثر من قرن أو قرنين . ومؤرخو الفن يبحثون عبثاً عن الأبنية التي تستحق الاعجاب والبقاء .

فالحياة الكثيفة التي لا تسترخي ابداً في المدينة الحديثة . وأضواؤها الساطعة التي تشكل صوراً فاتنة . تؤلف مشهداً مثيراً . يذهل من يشاهده من العالم القديم بحيث يخيل اليه انه غارق في عالم سحري .

ان حاجة الانسان القديم من البناء كانت محدودة . يكفيه منه قبو صغير تحت الأرض . ومسكن بسيط فوقها . بينما الانسان الحديث تفنن في توسيع الأقبية لحاجاته الضرورية . ورفع الأبنية الشامخة على ظهرها طبقاً على طبق . ليوفر من المساحات التي ضاقت عن حاجاته ومدى الاستفادة منها . ولا ريب ان حاجات العصر المتطورة . هي التي ستفرض عليه التخطيط الجديد . لعالم جديد وحواضر جديدة ●



# اخبار الكتب

* ما زال الدكتور راشد البراوي يتابع دراساته الجديدة في ميدان الاقتصاد . وقد ظهر له مؤخراً كتابان جديدان هما « القرآن والنظم الاجتماعية المعاصرة » وفيه يعرض الباحث حكم الاسلام في النظريات الاقتصادية والاجتماعية الجديدة ، و « تطور الفكر الاقتصادي » وهو يعالج التيارات الاقتصادية من بدايتها الأولى والى هذا العصر . وقد نشرت هذين الكتابين دار النهضة العربية .

* أحدث ما صدر من كتب عن العقاد هو الدراسة التي أعدتها الأديبة الدكتورة نعمات أحمد فؤاد بعنوان « الجمال والحرية الشخصية الانسانية في أدب العقاد » وقد استطاعت بمعرفتها للعقاد معرفة دراسة ومشافهة أن تبرز جوانبه الروحية متمثلة في معاني الجمال والحرية والانسانية . وقد صدر هذا الكتاب في سلسلة « اقرأ » لدار المعارف .

* صدر في بغداد الجزء الثاني من معجم « المساعد » للراحل الأب انستاس ماري الكرملي . وقد أشرف على تحقيقه وتخريجه الأستاذ كوركيس عواد وزميله الأستاذ عبد الحميد العلوجي وصدر عن وزارة الاعلام العراقية .

* صدرت لرباعيات الخيام طبعة جديدة تضم الى جانب شعر الشاعر مقدمة من قلم الدكتور رامي، فيها تعريف بالشاعر وحياته ورباعياته . وقد نشرت هذه الطبعة مكتبة غريب بالقاهرة .

* من الدواوين الجديدة التي صدرت أخيراً « بستان السحب » للشاعر الدكتور أحمد سليمان الأحمد وقد صدر عن وزارة الاعلام العراقية ، و « أغنيات لبلادي » للشاعر محمد كمال الدين امام مع مقدمة للأستاذ محمد عبد الغني حسن ونشر لجنة الشعر بالقاهرة ، و « ديوان الوائلي » للشاعر الراحل الأمير محمد بن عيسى التغلبي وقد حققه الشاعر العوضي الوكيل ، و « عن الدموع والفرح الآتي » للشاعرة مي صايغ ونشر « اتحاد الكتاب الفلسطينيين » .

* كما صدر الجزء الثالث من « ديوان الرصافي » من تحقيق صديقه وصفيه الأستاذ مصطفى علي الذي قام بشرحه شرحاً وافياً ونشرته وزارة الاعلام العراقية .

* يصدر قريباً كتاب « محمد العلائي : حياته وشعره » للأديب الأستاذ حسين علي محمد . والعلائي أستاذ سابق بكلية الآداب بجامعة القاهرة ، وفي حياته أوجه شبه بحياة أستاذه الدكتور طه حسين وكفاحه . وقد أطلق على نفسه اسم « العلائي » تشبهاً بأبي العلاء المعري لأنه كان مثله مكفوف البصر ، وقد استطاع الأستاذ حسين علي محمد جمع شعر العلائي المتناثر وأعده للنشر مع دراسة مطولة عن الشاعر .

* صدر للأديب الباحث الأستاذ محمد عبد الواحد حجازي كتاب « مقومات البناء الحضاري في الاسلام » ضمن منشورات المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية .

* ومن الدراسات الاسلامية الجديدة « اقضية رسول الله ، صلى الله عليه وسلم » لعبد الله محمد بن فرج المالكي القرطبي ، وقد صدر عن مطابع قطر الوطنية ، و « دراسات في العمارة والفنون الاسلامية » للأستاذ محمد الحسيني عبد العزيز ونشر المكتب العربي في الكويت .

* من كتب الدراسات الأدبية التي صدرت أخيراً كتاب « في التراث العربي » للراحل الدكتور مصطفى جواد ، وفيه فصول ودراسات في الأدب والتراث والتاريخ واللغة للراحل المجمعي . وقد حقق هذه الفصول الأستاذان محمد جميل شلش وعبد الحميد العلوجي ونشرتها وزارة الاعلام العراقية .

كذلك صدر كتاب « الدراسات النحوية واللغوية ومنهجها التعليمي في البصرة الى القرن الأول الهجري » للأستاذ جاسم السعدي ونشر مطبعة النعمان بالنجف الأشرف ، و « اللغة الدلالة في الشعر : دراسة نقدية في شعر السياب وعبد الصبور » للدكتور علي عزت ونشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ، و « رسائل السياب » جمع الأستاذ ماجد صالح السامرائي ونشر دار الطليعة في بيروت و « ملامح الفكر الأوروبي المعاصر » للدكتور صلاح عدس ونشر دار الهلال ، و « الأدب في خدمة الحياة والعقيدة » للأستاذ عبد الله أحمد العويشق واشراف الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا ونشر الدار العربية في بيروت .

* من كتب الخواطر الفكرية كتاب « لحن الحرية والصمت » الذي صدر للدكتور عبد الغفار مكاوي عن الهيئة المصرية .

* صدرت طائفة من كتب التربية وعلم النفس منها « تكيف شخصية الطفل » لرالف ه . اوجيمان وترجمة الدكتور عثمان لبيب فراج ونشر الهيئة المصرية ، و « المجتمع العراقي وتطور ظاهرة الانسان» للأستاذ عبد الغني الملاح ونشر دار الوطن العربي و « التعلم والتعليم مدخل في التربية وعلم النفس » لهيوز وترجمة الأستاذ حسن الدجيلي ونشر جامعة الرياض و « التخطيط التربوي على مستوى الوطن العربي» للأستاذ فؤاد نصحي ونشر دار الكتاب اللبناني.

* كتاب في ثلاثة أجزاء صدر للدكتور عبد الهادي التازي عن « جامع القرويين : المسجد والجامعة بمدينة فاس » وقد نشرته دار الكتاب اللبناني .

* « علم الاجتماع الحضاري » عنوان كتاب جديد للدكتور زيدان عبد الباقي صدر عن مكتبة القاهرة الحديثة .

* نشرت الجامعة الأردنية بحثاً عنوانه « مشكلة الغذاء في العالم والوطن العربي » من اعداد الدكتور الدكتور حسن عبد القادر صالح .

* الرحالة الدكتور حسين فوزي صدرت له طبعة جديدة من كتاب « سندباد عصري » وفيها يسجل انطباعات رحلته في المحيط الهندي . وقد نشرت الكتاب مجلة الاذاعة والتلفزيون .

* في الأدب الروائي صدرت مجموعة من الآثار منها « طائر اسمه الحب » للأستاذ اسماعيل ولي الدين ونشر أخبار اليوم . و « وراء الشمس » للأستاذ حسن محسب ونشر دار الهلال ، و « الطوق والأسورة » رواية للأستاذ يحيى الطاهر عبد الله ونشر الهيئة المصرية ، و « جلامبو » رواية للأستاذ سعيد سالم ونشر أقلام الصحوة ، و « فاس في سبع قصص » للأديب المغربي الأستاذ أحمد بناني ونشر مطبعة الرسالة بالرباط ، و « الحلم وجوه أخرى » مجموعة أقاصيص للأستاذ خلف أحمد خلف ونشر دار الغد بالبحرين ، و « العالم يبدأ من هنا » مجموعة أقاصيص للأستاذ مالك عزام ونشر مطبعة الرازي بدمشق .

* كتاب عن « فن الحرب في عهد الخلفاء الراشدين والأمويين » صدر للأستاذ بسام العسلي عن دار الفكر في بيروت ●



ظلال الربيع تتجدد الآمال وتغمر البهجة النفوس .



صورة جامعة للدفعة الأولى من خريجي كلية الطب بجامعة الرياض .

راجع مقال « كلية الطب »                    تصوير : شركة التصوير الوطنية .